دلالة المبنى على المعنى
في الآيات القرآنية المتماثلة
(دراسة تحليلية)

دكتورة

أميمة يسن أحمد مهران

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد

قسم الدراسات الإسلامية

الكلية الجامعية بحقل

جامعة تبوك

دلالة المبنى على المعنى في الآيات القرآنية المتماثلة (دراسة تحليلية)

أمـــيـــمة يسن أحمد مهران
قسم التفسير وعلوم القرآن - قسم الدراسات الإسلامية- الكلية الجامعية بحقل - جامعة تبوك- المملكة العربية السعودية.
البريد الإلكتروني: O_mahran@ut. edu.sa

ملخص البحث: إن موضوع العلاقة بين اللفظ والمعنى قديم قدم الدراسات اللغوية؛ لأنها قضية تعود إلى فلسفة اللغة وكيفية نشأتها ودلالتها على المعاني الموضوعة لها، وهناك خلاف كبير وتقاطع عريض بين طرفي النزاع في هذه المسألة من البحث اللغوي، فجمهور اللغويين العرب القدماء وعدد لا بأس به من المحدثين يرون ارتباطا واضحا بين اللفظ والمعنى، وأنه كلما طرأ على المبنى تغيير يؤثر غالبا في المعنى والمتأمل في كتاب الله عز وجل يجده جاء بأسلوب رفيع فصلت آياته فاعجز أساطين البلاغة العربية ومن ذلك الآيات المتماثلة والتي تمثل وجها من وجوه إعجازه البيانيِّ، فما ورد معرَّفًا في موطن، ومنكَّرًا في موطن آخر، أو مذكَّرًا هنا ومؤنَّثًا هناك.. إنما هو لحكمة أرادها سبحانه في تلك المغايرة بين المعاني.

وقد اقتضى البحث في هذا الموضوع أن يجئ في أربعة مباحث تسبقها مقدمة وتعقبها خاتمة.

تناولت في المقدمة أهمية الموضوع وأسباب اختياري له ، وتناولت في المبحث الأول اختلاف أبنية الاسم وأثره على المعنى وجاء المبحث الثاني ليبين أبنية الفعل ودلالتها أما المبحث الثالث فهو بعنوان المغايرة بين الاسم والفعل في التركيب وأثره على المعنى أما المبحث الرابع فتناول أحوال أبنية الألفاظ وتأثيره في المعنى ثم الخاتمة وفيها أهم النتائج .

الكلمات المفتاحية: المبني–المعنى– الدلالة– الآيات – المتماثلة– الأثر .

The significance of the building on the meaning in similar Quran verses (An analytical study)

Omaima yasen Ahmed Mahran
Assistant Professor of Interpretation and Quran Sciences
Department of Islamic Studies University College - Tabuk University.
Email: O_mahran@ut. edu.sa

Abstract: The topic of the relationship between pronunciation and meaning is as old as linguistic studies. Because it is an issue related to the philosophy of language and how it originated and its connotations to the meanings set for it, and there is a great disagreement and a wide intersection between the two parties to the conflict in this issue of linguistic research, so the majority of ancient Arab linguists and a good number of modernists see a clear link between the word and the meaning, and that whenever it occurs to The building is a change that often affects the meaning, and for this reason, there must be two identical structures, one of which was obtained in excess .

Then we look at the subtle moral differences that occur as a result of this verbal increase, and if there is a moral increase on the origin of the meaning, then it is included in this linguistic basis, and one who contemplates the Book of God Almighty finds that it came in a high manner and separated its verses, so the two lines of Arabic rhetoric were incapacitated, including the identical buildings that represent One of the aspects of his graphic miracles, what is mentioned is defined in one place, and denounced in another place, or masculine here and feminine there .. And that is only for the wisdom that the Almighty wanted in that contrast between meanings.

The research on this topic required that it come in four sections, preceded by an introduction and followed by a conclusion

In the introduction I dealt with the importance of the topic and the reasons for choosing it, and in the first section I dealt with the difference in the constructs of the noun and its effect on the meaning. The second topic came to show the structures of the verb and their connotations. As for the third topic It is entitled the contrast between noun and verb in composition and its effect on meaning. The fourth study deals with the conditions of word structures and their effect on meaning, then the conclusion and the most important results.

Key words: the construct - the meaning - the connotation - the verses - the similar - the impact.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لانبي بعده و على آله وصحبه ومن تبعهم إلى يوم الدين وبعد:

فإن أجلَّ علم صرفت فيه الهمم، علم الكتاب المنزل ، إذ هو كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد فيه الهدى والشفاء، والرحمة والبيان، والموعظة الحسنة والتبيان، فلو أنفقت فيه الأعمار ما أدركت كل غوره، ولو بذلت الجهود كلها ما أنضبت من معينه شيئاً يذكر، ومن هنا اجتمعت كلمة علماء الأمة على العناية بتفسيره، وبيانه ودراسته، واستدرار كنوزه ، والنهل من معينه العذب النمير، ولأجل انكبابهم على دراسته، تنوعت طرائقهم في عرض علومه، واختلفت مشاريعهم في إيضاح مكنوناته، وكان القدح المعلى لعلم التفسير من ذلك كله،ولا نكاد نعرف علمًا من العلوم التي اشتغل بها المسلمون في تاريخهم الطويل إلا كان الباعث عليه هو خدمة القرآن الكريم من ناحية ذلك العلم، فالنحوُ الذي يقوِّم اللسان ويعصمه من الخطأ، أُريد به خدمة النطق الصحيح للقرآن، وعلومُ البلاغة التي تبرز خصائص اللغة العربية وجمالها، أُريد بها بيان نواحي الإعجاز في القرآن، والكشف عن أسراره الأدبية، وتتبعُ مفردات اللغة، والتماس شواردها وشواهدها وضبط ألفاظها، وتحديد معانيها، أُريد بها صيانة ألفاظ القرآن ومعانيه أن تعدو عليها عواملُ التحريف أو الغموض، والتجويدُ والقراءاتُ لضبط أداء القرآن وحفظ لهجاته، والتفسيرُ لبيان معانيه والكشف عن مراميه، والفقهُ لاستنباط أحكامه، والأصولُ لبيان قواعد تشريعه العام وطريقة الاستنباط منه، وعلمُ الكلام لبيان ما جاء به من العقائد، وأسلوبه في الاستدلال عليها.

ومن هذا المنطلق جهد المفسرون للقرآن الكريم أنفسهم في بيان أثر الزيادة الحاصلة في بعض الصيغ على صعيد المعنى، ومن ذلك الآيات المتماثلة

في القرآن الكريم وحاولوا تفسير ذلك بتفسيرات بينت وجه الدلالة في كثير من الأحيان وكان لكل منهم طريقته ومشربه .

فالأبنية المتماثلة بين ألفاظ القرآن الكريم مع التَّنوُّع في التَّعريف والتَّنكير، والتَّذكير والتَّأنيث، والاسميَّة والفعليَّة، وما ينطوي تحتها من جزئيات تُعد وجهًا من وجوه إعجاز هذا الكتاب المبارك، ولونًا من ألوان بلاغته وفصاحته.

وليس مجيء تلك الأبنية تكرارًا،ولغوًا؛ لأنَّه يستحيل عليه الاختلاف والحشو واللَّغو ﴿لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [سورة فصلت آية ٤٢]. فالأبنية المتماثلة وجه من وجوه إعجازه البيانيّ، فما ورد معرَّفًا في موطن، ومنكَّرًا في موطن آخر، أو مذكَّرًا هنا ومؤنَّثًا هناك.. الخ إنَّما هو لحكمة تُطلب وفائدة تُرام، وليس تكرارًا بلا فائدة، يقول الخطيب الإسكافيُّ: "إذا أورد الحكيم – تقدَّست أسماؤه – آية على لفظة مخصوصة، ثمَّ أعادها في موضع آخر من القرآن، وقد غيَّر لفظة عمَّا كانت عليه في الأولى فلابد من حكمة تُطلب، وإن أدركتموها فقد ظفرتم، وإن لم تدركوها فليس لأنَّه لا حكمة هناك، بل جهلتم[١].

<u>أما خطة البحث فجاءت على النحو التالي:</u>

المبحث الأول : التفاضل بين أبنية الأسماء وأثره في المعنى

المبحث الثاني : التفاضل بين أبنية الفعل ودلالتها

المبحث الثالث :المغايرة بين الاسم والفعل في التركيب وأثره على المعنى

المبحث الرابع : أحوال أبنية الألفاظ وتأثيره في المعنى

الخاتمة : وفيها أهم النتائج

المبحث الأول

الاختلاف بين أبنية الأسماء وأثره في المعنى

أ – التفاوت بين التَّفْضيل واسم الفاعل:

ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿لاَ جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الأَخْسَرُونَ﴾ [سورة هود آية ٢٢]، وصيغة اسم الفاعل في قوله تعالى: ﴿لاَ جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [سورة النحل ١٠٩].

والآيتان اتفقتا في عدد الكلمات وسياقها ولكنّ آية هود انتهت بـ: ﴿هم الأخسرون﴾ وآية النحل بـ ﴿هم الخاسرون﴾ فهل هنا فرق بين الخاسرين والأخسرين، ولماذا؟.

فأجبته بما يأتي: عندما يكون الحديث عن الكافرين الضَّالِّين الذين كفروا وضلُّوا وسعوا إلى تضليل غيرهم ليكفر مثلهم، فهؤلاء هم الأخسرون بصيغة أفعل التي تُفيد (التفضيل) وهو: أن شيئين اشتركا في أمر ما إلا أن أحدهما يزيد على الآخر فيه، كما في آية هود.

وعندما يكون الحديث عن الكافرين الضَّالِّين الذين لم يُضلِّلوا غيرهم ولم يسعوا ليكون غيرهم كافراً مثلهم، فهؤلاء هم الخاسرون كما في آية النحل. والدليل على هذا أنك لو رجعت إلى ما قبل آية سورة هود ٢٢ وقرأت آيتي ١٨–١٩، وهما: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا أُوْلَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الأَشْهَادُ هَؤُلاء الَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى رَبِّهِمْ أَلاَ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ [سورة هود:١١/١٨–١٩] لرأيت أن الحديث عن الكافرين الذين صدُّوا غيرهم عن سبيل الله، وأرادوا أن يعيش الناس جميعاً حياة العِوج والضلال والانحراف، وكذبوا على الله ليُضلِّلوا من حولَهم، على حين لو رجعت إلى ما قبل آية ١٠٩ في النحل، وقرأت الآيات ١٠٥–١٠٨، وهي: ﴿مَن كَفَرَ بِاللهِ مِن بَعْدِ إيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ١٦/١٠٦ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّواْ الْحَيَاةَ الْدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَأَنَّ اللهَ لاَ

يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ١٠٧/١٦أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [النحل:١٦/١٠٥–١٠٨] لرأيت أن الحديث عن كافرين غافلين كفروا وضلّوا بأنفسهم، ولكنهم لم يُضلِّلوا غيرَهم، ولم يسعوا ليكون غيرهم كافراً مثلهم.

وهذا هو السرّ في أن آيات سورة هود المذكورة انتهت بوصف الكافرين الضَّالِّين لغيرهم بـ: ﴿لاَ جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الأَخْسَرُونَ﴾ [سورة هود:١١/٢٢]. وأن آيات سورة النحل المذكورة انتهت بوصف الضَّالِّين الكافرين دون أن يُضَلِّلوا غيرَهم بـ: ﴿لا جرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون﴾ وقوله تعالى: ﴿لا جرم...﴾ أي لا شك في أنهم– الأخسرون– أَو الخاسرون. أو نقطع ونؤكد حقاً وحتماً أنهم هم الأَخسرون هم الخاسرون.

ب– اختلاف أبنية اسم الفاعل:

ومن أمثلته صيغة مشتبه – اسم فاعل – جاءت في قوله تعالى: ﴿وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ﴾ [سورة الأنعام آية ٩٩]. بينما جاءت صيغة متشابه – اسم فاعل – في قوله سبحانه: ﴿وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ﴾ [سورة الأنعام آية ١٤١]. فما سرُّ تعاقب صيغتي اسم الفاعل في السِّياقين؟ وما سبب التَّخصيص؟.

لحظ بعض الموجِّهين أنَّ ثمَّة سرًّا بلاغيًّا لطيفًا كاد يبوح به تعاور الصِّيغتين في سياقيهما، وقد تأبَّى ذلك على أهل اللُّغة فذهبوا – عندما أعوزهم تلمُّسُه – إلى أنَّ مشتبهًا، ومتشابهًا لغتان بمعنى واحد، فذهب كثير منهم إلى مجيء تفاعل بمعنى افتعل، يقول سيبويه: "وأمَّا تفاعلت فلا يكون إلا وأنت تريد فعل اثنين فصاعدًا..... وذلك قولك: تضاربنا وترامينا وتقاتلنا. وقد يشركه افتعلنا فتريد بهما معنى واحدًا، وذلك قولهم: تضاربوا واضطربوا، وتقاتلوا، واقتتلوا، وتجاوروا، واجتوروا، وتلاقوا، والتقوا"[٢].

بينما يرى ابن عاشور[٣] أنَّ الاشتباه والتَّشابه بمعنى واحد وأنَّهما مترادفان، واشتقاقهما من الشَّبه، وجمع بينهما في الآية الأولى؛ للتَّفنُّن

كراهية إعادة اللَّفظ بعينه؛ ولأنَّ اسم الفاعل من التَّشابه – متشابه – أسعد بالوقف عليه لما فيه من مدِّ الصَّوت بخلاف متشابه وهذا من بديع الفصاحة.

وأرى أنَّ الصِّيغتين ليستا بمعنى واحد من حيث الدَّلالة السِّياقيَّة، فهناك فرق دقيق بينهما جاء القرآن الكريم به؛ لتخصيص كلِّ آية بالصِّيغة التي وردت فيها؛ لأنَّ الزِّيادة في المبنى تعطي زيادة في المعنى، كما أنَّ القرآن الكريم لا يستعمل كلمة بصيغة محدَّدة في موطن، ويستعملها بصيغة متماثلة في موطن آخر إلا لسبب يقتضيه سياق النَّص، فكلُّ لفظة اختصَّت بموطنها المناسب.

فسياق الآية الأولى في بيان قدرة الله عز وجل وآياته الباهرة في خلقه قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ... فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا ... وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا ... وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ... وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ...﴾ [سورة الأنعام ٩٥-٩٩].

وسياق الآية الأخرى ففي بيان الأطعمة وما يحلِّله ويحرِّمه أهل الكفر؛ افتراء على الله، وبيان عقائدهم الباطلة، قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ ... وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ ... وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ ...﴾ [سورة الأنعام ١٣٦ – ١٤١].

فالفعل اشتبه أكثر ما يفيد الالتباس والإشكال، وأنَّ تشابه أكثر ما يفيد المشاركة في معنى من المعاني. جاء في تاج العروس: "أمور مشتبهة ومشبَّهة كمعظَّمة، أي: مشكِلة ملتبسة يشبه بعضها بعضًا"[٤]، وجاء في المصباح المنير: "فالمشابهة: المشاركة في معنى من المعاني، والاشتباه: الالتباس"[٥].

فـ "الأمور المشتبهة تحتاج إلى زيادة نظر وتأمُّل؛ لإدراك حقيقة أمرها، فوضع مشتبهًا في السِّياق الدَّال على قدرته وآياته، وفي موضع الأمر بالنَّظر انظروا إلى ثمره دون الموضع الآخر ممَّا ليس في هذا السِّياق،فكان كلُّ تعبير أنسب في سياقه الذي ورد فيه"[٦].

ج – تبائن صيغ الجموع

فمثلا: النبيِّن، و الأنبياء في سياقيهما، حيث وردت الصِّيغة الأولى جمعًا سالمًا، في قوله تعالى: ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [سورة البقرة ٦١] ووردت صيغة الجمع المكسَّر في قوله تعالى: ﴿وَيَقْتُلُونَ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [سورة آل عمران ١١٢].

في السياقات التي لا تقتضي التهويل والمبالغة والكثرة، ترد (النبيون) و (النبيين) بجمع القلة على الأصل مناسبة لتلك السياقات، وما يجيء على أصله لا يسأل عن علته، لكن إذا خرج الشيء عن أصله سئل عن علته. وأما في السياقات التي تقتضي التهويل والمبالغة والكثرة فترد (الأنبياء) بجمع الكثرة على غير الأصل مناسبة لتلك السياقات، ولا تأتي على الأصل بجمع القلة.

لحظ الكرمانيُّ[٧] أنَّ النَّسق القرآنيَّ في آية البقرة ورد جمع السَّلامة لموافقة ما بعده، حيث جُمِعَ جَمعَ سلامة، في نحو: الذين !!، و الصَّابئين، في سياق قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ﴾ [سورة البقرة اية ٦٢].

أمَّا آية آل عمران التي وردت بالجمع المكسَّر فهي بخلاف ذلك وقد نقل الفيروز آبادي[٨] هذا التَّوجيه، غير أنِّي أرى في توجيه الكرمانيِّ بُعدٌ؛ لأنَّ آية البقرة ورد فيها جمع التَّكسير: النَّصارى فكُسِر النَّسق الذي استدلَّ به الكرمانيُّ، كما أنَّ لفظ الذين ليس جمع مذكَّر سالمًا.

وابتعد ابن الزُّبير الغرناطيُّ[٩] عن المعهود اللُّغويِّ في دلالة الجمعين فلم يوجِّه الصِّيغتين في سياقهما،على ما يفيده الجمع السَّالم من القلَّة وجمع

التَّكسير من الكثرة، وإنَّما وجَّههما توجيهًا آخر فذكر أنَّ سبب التَّخصيص هو أنَّ جمع التَّكسير يكون لأولي العلم وغيرهم، وأمَّا جمع المذكَّر السَّالم فالأصل أن يختصَّ بأولي العلم، وقد يأتي لغيرهم على سبيل الإلحاق والتَّشبيه، كقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [سورة يوسف آية ٤]، فإذا تقرَّر هذا فإنَّ ورود جمع المذكَّر السَّالم في آية البقرة مناسب لأمرين:

الأوَّل: شرف الجمع لشرف المجموع، أي: أنَّ جمع المذكَّر أشرف لجمع نبي من جمع التَّكسير.

الثّاني: أنَّ زيادة المدِّ في نبيين مناسبة لزيادة أداة التَّعريف في لفظ الحق.

وأما آية آل عمران فلم يكن فيها إلاَّ شرف المجموع وكانت العرب تتَّسع في جمع التَّكسير فتوقعها على العقلاء أولي العلم وغيرهم، فجيء بجمع التَّكسير لتحصل اللُّغتان، فلا يبقى حجَّة لمن تُحدِّي بالقرآن؛ لأنَّهم مُخاطبون بما في لغاتهم فجيء بالجمعين ك- ليهما؛ لبيان جوازهما.

وقد قرَّر أبو حيَّان في موطن آخر هذه الرؤية، وهي أنَّ "جموع القلَّة إذا تعرَّفتْ بالألف واللاَّم غير العهدية أو أضيفتْ، عمَّت وصارتْ لا تخصُّ القليل، والعام مستغرق لجميع الأفراد"[١٠].

د- بين اسم الفاعل وصيغة المبالغة

تغايرت الصِّيغتان- ساحر وسحَّار- في سياقين، الأولى في سياق قوله تعالى: ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ﴾[سورة الأعراف أية ١١٢[، [سورة الأعراف ١١٢]، والثانية في قوله عز وجل: ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ﴾ [سورة الشعراء ٣٧].

فمن حيث الاشتقاق: "ساحر" اسم فاعل من الثلاثي (سحر)، تقول: سَحَرَ فهو ساحر، أما "سحَّار" فهي صيغة مبالغة، يوصف به من مارس السحر وتمكنت منه وتعمق فيه.

في سورة الأعراف اتهم فرعون موسى عليه السلام بأنه ساحر، قال تعالى: "قَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا. لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ " لذلك طالبوا إحضار كل ساحر عليم ليتحدَّاه: "يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ".

وبين الوصفين تناسب؛ موسى في نظرهم ساحر عليم، فلذلك يواجهه ساحر عليم.

أما في سورة الشعراء فقد عدلوا عن "ساحر" إلى "سحَّار"، قال تعالى: "يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ".

فما حكمة العدول عن "ساحر" إلى "سحَّار"؟؟

لأن موسى عليه السلام ليس مجرد ساحر، بل هو الكبير الذي يُعلم السحر في نظر فرعون، قال تعالى عن اتهام فرعون: "قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذن لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ"[سورة الشعراء آية ٤٩[ونقل الألوسيُّ [١١] توصيفات في التَّفريق بين سحار و ساحر فسحَّار بصيغة المبالغة يكون لمن يريد السِّحر ، وساحر بصيغة اسم الفاعل يكون لمن سحر في وقت دون وقت، وقيل: إنَّ السَّاحر للمبتدئ في صناعة السِّحر، والسَّحَّار هو: المتمرِّس في السِّحر والمنتهى الذي يُتعلَّم منه ذلك.

وهذا التَّفريق الذي نقله الألوسيُّ، هو تفريق في العموم بين السَّاحر والسَّحَّار، وليس مختصًّا في سياق آيتي الأعراف والشُّعراء.

بينما يرى ابن عاشور[١٢] أن السَّحَّار مرادفًا للسَّاحر في الاستعمال اللُّغويِّ، وأنَّ صيغة فعَّال في قوله: سحَّار جاءت هنا للنَّسب دلالة على الصِّناعة، وذلك مثل: النَّجَّار، والقصَّار، وممَّا يدلُّ على ذلك مجيء عليم بالسِّحر الفائق في علمه.

وحاصل دلالة التَّغاير بين الصِّيغتين في كُلٍّ: أنَّ الفاعل من السِّحر: ساحر لسياق قوله تعالى: ﴿وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ﴾ [سورة الأعراف آية١٢٠]، و﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ﴾ [سورة الشَّعراء آية ٤٠]، كما أنَّ السِّحرة جمع ساحر، ككتبة وكاتب، وفجرة وفاجر، أمَّا سحَّار فقد وُصِفَ بلفظ: عليم ووصفه يدلُّ على تناهيه فيه، وحذقه به؛ فناسب لذلك أن يُذكروا بالاسم الدّال على المبالغة في السِّحر[١٣].

المبحث الثاني

أبنية الأفعال ودلالتها

أ- بناء الفعل للمعلوم والمجهول:

يوافقنا في ذلك اختلاف الصِّيغتين قلنا وقيل في الخطاب القرآنيّ، حيث وردت الصِّيغة الأولى في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُواْ هذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ [سورة البقرة آية ٥٨] بذكر الفاعل، والثَّانية بطرح الفاعل في قوله عزَّ وجل: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُواْ هذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ [سورة الأعراف اية ١٦١].

هذا التَّلوين في الخطاب القرآنيّ بين الصِّيغتين أرجعه الرَّازيُّ[١٤] في السِّياق الأوَّل قلنا لعلَّتين: إزالة الإبهام، وللسِّياق اللُّغويّ السَّابق في التَّركيب، وهو تقدم ذكر النِّعم ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ [سورة البقرة ٤٠، ٤٧] فناسب التَّصريح بالفاعل وإذا قلنا بنسبة القول إلى الله عزَّ وجل.

أمَّا آية الأعراف فقد زال الإبهام الحاصل بعد تقدُّم التَّصريح بالفاعل في آية البقرة، فكان المناسب بناء الفعل لما لم يُسمَّ فاعله، وتابعه على ذلك النَّيسابوريُّ[١٥]، وأبو حيَّان[١٦].

ويميل ابن جُمَّاعة[١٧] لتحليل الرَّازيّ، إلاَّ أنَّه أضاف: أنَّ آية الأعراف جيء فيها بصيغة الفعل لما لم يُسمَّ فاعله؛ لِمَا تقدّم من تعريفهم وتوبيخهم في قوله تعالى: ﴿اجْعَل لَّنَا إِلَـهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [سورة الأعراف آية ١٣٨] ثم توبيخهم على فعلتهم في اتخاذهم العجل.

وعلى هَدْي ممَّا سبق يأتي البقاعي؛ ليشيرإلى أنَّه عُبِّر بما لم يُسمَّ فاعله؛ "إعراضًا عن تلذيذهم بالخطاب؛ وإيذانًا بأنَّ هذا السِّياق للغضب عليهم بتساقطهم في الكفر وإعراضهم عن الشُّكر"[١٨].

ويستغلُّ الألوسي هذه المغايرة بين مبنى الفعلين؛ لينبِّه على أنَّ هذا الاختلاف جاء للتفنُّن في التَّعبير؛ لأنَّ هذا التَّفنُّن في الخطاب طريق البلغاء، وفيه دلالة على رفعة شأن المتكلم[٩٥]. كما أفاد عند آية الأعراف أنَّ الفعل

ورد بالبناء للمفعول فيها؛ جريًا على سنن الكبرياء؛ وإيذانًا بأنَّ الفاعل غنيٌّ عن التَّصريح به[١٩].

وقد تناول اللُّغويُّون والمفسِّرون تلك الظاهرة – كما رأينا– وألمحوا في بحثها بلمحات جيدة في بابها من حيث ربطها بالسِّياق القرآنيِّ، إلاَّ إنَّهم لم يلتفتوا إلى أنَّ ما وراء اطِّراد ظاهرة البناء للمفعول قِيلَ غرضٌ بلاغيٌّ عامٌّ يضبط حركة التَّعبير بها – وإن كان الرَّازيُّ والبقاعيُّ قريبين من ذلك – وذلك حيثما يكون الاهتمام منصرفًا إلى الإعلام بوقوع الفعل، أو الاكتفاء على الحدث ألبتة دونما الاهتمام بفاعله.

وإذا نظرنا إلى الصِّيغة قِيلَ محل التَّحليل لوجدنا أنَّ مقصود الآية هو: التَّنبيه على فعلتهم الشَّنيعة التي خالفوا فيها أمر الله بدخول مصر ساجدين، ووقوعهم في الكفر، وإعراضهم عن شكر الله تعالى، واتِّخاذهم العجل إلهًا من دون الله سبحانه، فوبَّخهم الله عزَّ وجل، ووصفهم بالجهل إنكم قوم تجهلون. وليس المقصود: الاهتمام بالفاعل والتَّصريح به؛ لأنَّ الغاية هي البنية الإخباريَّة لا البنية اللِّفظية في مقامها الأوَّل.

وحذف الفاعل للاهتمام بوقوع الحدث ملحظ دلاليٌّ ترددَّ كثيرًا في ظاهرة البناء للمفعول، وقد فطن إلى ذلك ابن جنِّي في معرض توجيهه لبناء الفعل للمفعول[٢٠] في قوله عز وجل:﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا﴾[سورة البقرة اية٣١] ، حيث قال: "... فإذا ثبت بهذا كلّه قوة عنايتهم بالفضلة حتى ألغوا حديث الفاعل معها وبنوا الفعل لمفعوله فقالوا: ضُرِبَ زيدٌ– حسُن قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا﴾ لما كان الغرض منه أنَّه قد عرفها وعلمها، وأنس – أيضًا – علم المخاطبين بأنَّ الله تعالى هو الذي علّمه إيّاها بقراءة من قرأ ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا﴾،

ـ وقد يستدعي النَّظم القرآني العدول من البناء للمعلوم إلى المجهول؛ لإبراز سر بلاغيِّ، ربما لا يتَّضح تمام الوضوح بصيغة واحدة: كما في طُبِعَ، وطَبَعَ فهاتان صيغتان وردتا في سورة التَّوبة في سياقين يتقاربان لفظًا ومعنى

فبين السِّياقين خمس آيات فقط، الصِّيغة الأولى: قوله تعالى: ﴿وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَفْقَهُونَ﴾ [سورة التوبة آية ٨٧]، والصِّيغة الثَّانية: قوله تعالى: ﴿وَطَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [– سورة التوبة آية ٩٣].

وقد اعتمد الخطيبُ الإسكافيُّ في توضيح المغايرة الصَّرفية للبناءين على السِّياق اللُّغويِّ والحاليِّ، فيرى أنَّ صيغة لم يُسمَّ فاعله جاءت مساوقة لتركيب الآية قبلها، حيث قال تعالى: ﴿وَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾ [سورة التوبة ٨٦] فنوسب بين آخر هذه الآية، ومطلع الآية التي قبلها ووُفِّق بين صدر الكلام وآخره.

أمَّا الصِّيغة الثَّانية طَبَعَ فجاءت في تركيب بُسِطَ فيه الكلام وأُشْبِعَ في بيان عذر المعذورين في سياق قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاء وَلاَ عَلَى الْمَرْضَى وَلاَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [سورة التوبة ٩١]، وقوله سبحانه: ﴿وَلاَ عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ [سورة التوبة اية ٩٢]، فلمَّا بُسط الكلام في عذر هؤلاء مع ما ناسبه من توبيخ للمتخلفين بغير عذر في قوله عزَّ وجل: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاء رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [سورة التوبة آية ٩٣]، فبنى الفعل للفاعل؛ لأنَّ السِّياق سياق بسط وإشباع وتوكيد لحال هؤلاء وهؤلاء، ولم يقع قبل هذا السِّياق ما يقتضي – لفظًا – البناء للمفعول فجاءت على الأصل[٢١]. وتابعه على ذلك التَّحليل: الكرمانيُّ[٢٢]، وابن الزُّبير[٢٣]، وابن جُمَّاعة[٢٤]، والأنصاريُّ[٢٥]. وهو تناسب لفظي جميل رُوعي منه سياق الآيات لفظًا ومعنى.

غير أنَّ ابن عاشور[٢٦] يرى أنَّه صرَّح بالفاعل في الصِّيغة الثَّانية؛ لاحتمال أن يكون الطبع فيها غير الطَّبع الذي جُبلوا عليه كما في سياق الصِّيغة الأولى، فهو طبع على طبع لغضب الله عليهم فَحرمهم النَّجاة من الطَّبع الأصليِّ، وزادهم غواية.

وتُبرز المغايرة بين الصِّيغتين وجهًا آخر من المناسبة التي تجمع بين اللّفظ والمعنى، حيث أفادت صيغة طَبَعَ أنَّ إسناد الطَّبع إلى الله عزَّ وجل أشد تمكنًا في القلب من بنائه على صيغة طُبِعَ بطرح الفاعل، فهو في الأولى أشدّ وأقوى، وقد كان ذلك لأنَّ صيغة طَبَعَ فيها من المبالغة والتَّأكيد ممَّا ليس في الصِّيغة الثَّانية، ويتَّضح ذلك من سياق الآيات الثَّلاث التي بعد سياق صيغة طَبَعَ فناسب ذلك إسناد الطَّبع إلى الله للإشارة على شدَّة تمكُّن الكفر في قلوبهم بخلاف سياق صيغة المبني للمفعول[٢٧].

وتظهر – كذلك – قيمة التَّحول في التَّركيب بتقديم صيغة على أخرى؛ لاستشراف قيم دلاليَّة، هي الغاية والسِّرُّ في التَّقديم، يتمثل هذا في يُطاف ويَطُوف حيث وردت الصِّيغتان كلتاهما في سورة الإنسان وسياق الحديث بهما عن الجنَّة والنَّار، فالصِّيغة الأولى في قوله تعالى: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا﴾ [الإنسان أية ١٥]، والثَّانية في قوله تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾ [الإنسان اية ١٩].

نلاحظ أنَّ الفعل المبني للمفعول تقدّم الفعل المبني للفاعل، وقد ذكر سيبويه أنَّهم – أي العرب – "يقدِّمون الذي بيانه أهم لهم وهم ببيانه أعنى وإن كان جميعًا يهمانهم ويعنيانهم"[٢٨]؛ ومن ثمَّ استثمر الخطيبُ الإسكافيُّ هذه القاعدة المطَّردة في بيان علَّة مجيء النَّظم القرآني على هذا النَّسق، حيث أفاد أنَّ الصِّيغة الأولى في سياقها القصد فيها وصف ما يُطاف به، ولم يقصد وصف الطَّائفين، فناسب لذلك بناء الفعل للمفعول، وأنَّ الصِّيغة الثَّانية في سياقها. المقصود فيها وصف الطَّائفين، لا وصف المطوف به، فقال: "إنَّ القصد في الآية الأولى وصف ما يُطاف به من الأواني دون وصف الطَّائفين، فلمَّا كان المعتمد بالإفادة ذاك بني الفعل مقصودًا به ذكر المفعول لا الفاعل.... وأمَّا الموضع الثَّاني الذي سمَّي فيه الفاعل، وهو قوله: ﴿وَيَطُوفُ

عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ فإنَّ القصد فيه وصف الفاعلين الذين يطوفون بهذه الآنية فوجب ذِكْرهم؛ لتعلُّق الصِّفة بهم"[٢٩].

ب- أبنية الفعل بين التَّجريد والزيادة:

قال تعالى في سورة فصلت (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) [سورة فصلت آية ٣٠] وقال في سورة القدر (تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ [سورة القدر آية ٤].استخدم نفس الفعل المضارع لكن حذفت التاء في الآية الثانية (تنزّل) لماذا؟

الآية الأولى هي عند الموت تنزل الملائكة على الشخص المستقيم تبشرّه بمآله إلى الجنة ، أما الثانية فهي في ليلة القدر ، التنزّل في الآية الأولى يحدث في كل لحظة لأنه في كل لحظة يموت مؤمن في هذه الأرض إذن الملائكة في مثل هذه الحالة تتنزّل في كل لحظة وكل وقت أما في الآية الثانية فهي في ليلة واحدة في العام وهي ليلة القدر. لإذن التنزّل الأول أكثر استمرارية من التنزّل الثاني، ففي الحدث المستمر جاء الفعل كاملاً غير مقتطع (تتنزّل) أما في الثانية في الحدث المتقطع اقتطع الفعل (تنزّل).

مثال آخر في قوله تعالى في سورة النساء (إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (سورة النساء آية ٩٧) وفي سورة النحل (الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (سورة النحل آية ٢٨).

لنستعرض المتوفين في السياقين: في آية سورة النساء المتوفون هم جزء من المتوفين في آية سورة النحل ففي سورة النساء المتوفون هم المستضعفون من الذين ظلموا أنفسهم أما في سورة النحل فالمتوفون هم ظالمي أنفسهم كلهم على العموم. فأعطى تعالى القسم الأكبر الفعل الأطول وأعطى القسم الأقل الفعل الأقلّ.

مثال آخر في سورة الأحزاب (لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا (سورة الأحزاب آية ٥٢)) وقوله تعالى (وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا (سورة النساء آية ٢) في آية سورة الأحزاب هي مقصورة على الرسول ﷺ والحكم مقصور عليه ﷺ. أما الآية الثانية فهي آية عامة لكل المسلمين وهذا التبدّل هو لعموم المسلمين وليس مقصوراً على أحد معين وإنما هو مستمر إلى يوم القيامة. لذا أعطى الحدث الصغير الصيغة القصيرة (تبدّل) وأعطى الحدث الممتد الصيغة الممتدة (تتبدلوا).

مثال آخر: قال تعالى في سورة الشورى (شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ (سورة الشورى آية ١٣)) وقال في سورة آل عمران (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (سورة آل عمرآن آية ١٠٣)) في الآية الأولى الوصية خالدة من زمن سيدنا نوح إلى خاتم الأنبياء فجاء الفعل (تتفرقوا) أما في الآية الثانية فهي خاصة بالمسلمين لذا جاء الفعل (تفرّقوا). والأمة المحمدية هي جزء من الأمم المذكورة في الآية الأولى. وكذلك فالحدث ممتد في الأولى (تتفرقوا) والحدث محدد في الثانية (تفرقوا). فالأولى وصية خالدة على زمن الأزمان (ولا تتفرقوا فيه) لأن هذا هو المأتى الذي يدخل إليه أعداء الإسلام فيتفرقون به لذا جاءت الوصية خالدة مستمرة، وصّى تعالى الأمم مرة ووصّى الأمة الإسلامية مرتين. والآية الأولى أشد تحذيراً للأمة الإسلامية (شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحاً والذي أوحينا إليك). شرعه لنا في الوصية العامة لنوح وخصّ بالذي أوحينا إليك ثم خصّ الأمة الإسلامية

في الآية الثانية. والحذف له سببان هنا الأول لأن الأمة المحمدية أصغر. ونهانا عن التفرّق مهما كان قليلاً وأراد ربنا تعالى أن نلتزم بهذا الأمر (لا تفرقوا) وقال (واعتصموا بحبل الله جميعا). أكد على الجمع الكامل وعلى سبيل العموم كأنه فرض عين على الجميع فلا يُعفى أحد من المسؤولية أن لا نتفرق وأن نعتصم بحبل الله وذكرهم بنعم الله عليهم وتوعدهم على الاختلاف بالعذاب العظيم وأطلق العذاب ولم يحصره في الآخرة إنما قد يطالهم في الدنيا والآخرة. المصدر لا يعمل بعد وصفه (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) ليست متعلقة بالعذاب العظيم. التفرّق يكون عذابه عظيماً في الدنيا والآخرة.

وقوله تعالى (والذي أوحينا إليك) اختار الاسم الموصول (الذي) عندما ذكر شريعة محمد ولم يقل (وما أوحينا إليك) لأن (الذي) أعرف وأخصّ من (ما) التي تشترك في المفرد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث. وقد بيّن تعالى شريعتنا وعرفناها فجاء بالأعرف (اسم الموصول الذي)، لا نعلم على وجه التفصيل ما وصّى الله تعالى نوحاً وعيسى وموسى وإبراهيم لذا اختار سبحانه (ما) اسم الموصول غير المعرّف. (ينظر أسرار البيان في التعبير القرآني د. فاضل السامرائي)

ومن أمثلته كذلك اسطاع واستطع بوحدة صرفيّة لها أثر فاعل في القيمة الدَّلالية لسياق قول الله عزَّ وجل: ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ [الكهف اية ٩٧] فبينما يشير بعض المفسرين واللُّغويين كأمثال: ابن جرير[٣٠]، وأبو حيَّان[٣١]، إلى أنَّ الفعل اسطاع أصله: استطاع وحُذفتْ منه التاء؛ تخفيفًا، وهي علَّة يشيع دورانها في مثل هذا اللَّون من الحذف.

نرى آخرين منهم[٣٢] يستغلُّون هذا اللَّون وتلك العلَّة في الكشف عن سرِّ المغايرة في مبنى الفعلين في سياق واحد. فهذا ابن الزُّبير الغرناطيُّ يعتمد على هذه العلَّة، فيربط بينها وبين غرض الآية الَّذي يصوِّر علوَّ السَّدِّ وملاسته وصلابته وموقف يأجوج ومأجوج منه "فجيء أولاً بالفعل مُخفَّفًا عند إرادة نفي قدرتهم على الظُّهور على السَّد والصُّعود فوقه، ثمَّ جيء بأصل الفعل مُستوفى

الحروف عند نفي قدرتهم على نقْبه وخرْقه، ولا شكَّ أنَّ الظُّهور أيسر من النَّقب، والنَّقب أشد عليهم وأثقل، فجيء بالفعل مخفَّفًا مع الأخفِّ، وجيء به تامًا مستوفى مع الأثقل، فتناسب، ولو قُدِّر بالعكس لما تناسب"[٣٣].

وبهذه القيمة التَّعبيريَّة التي ارتداها ابن الزُّبير نستطيع أن نستصحبها لبيان مراعاة النَّسق القرآنيِّ للمغايرة بين الفعلين تستطع وتسطع [سورة الكهف ٧٨، ٨٢] من السُّورة نفسها بغرض إحداث نوعٍ من المناسبة الدَّلاليَّة بين المبنيين في سياقهما؛ إذ ورد الفعل في الآية غير محذوف التَّاء؛ لتصوير شدَّة الثِّقل الَّذي شعر به موسى – عليه السلام– حينما غُمَّ عليه لما كان يقوم به العبد الصَّالح من أفعال لا تتفق في ظاهر الأمر مع ما يعتاده النَّاس في الحياة، حتّى بلغت بهما المفارقة العلميَّة مبلغها، ثُمَّ ورد الفعل في الآية الأخرى مخفَّفًا بحذف التَّاء؛ للتَّنبيه على زوال ذلك الثِّقل عن كاهله، حيث خفَّ عليه ما لَقِيَه بظهور سببه، وبيان ذاته وكنهه، فكانت المناسبة بين كل بناء من البنائين مع ما يصوِّره من معنى، وما يكتنفه من قيم جماليَّة وتعبيريَّة[٣٤].

كما تشير صيغتا تبع واتبع إلى قيمة تعبيريَّة يشير إليها، الملحظُ الدَّلاليُّ المستفاد من اختلاف الوحدة الصَّرفيَّة في الفعلين؛ تبعًا لسياقهما، حيث وردت الصِّيغتان في سياق آية [سورة البقرة البقرة آية ٣٨] ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، وفي سياق آية [سورة طه آية ١٢٣] ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى﴾.

جاءت آية البقرة بلفظ تَبِعَ على وزن فَعِلَ، وجاءت آية طه بلفظ اتَّبع على وزن افْتَعَل، وقد يكونان بمعنى واحد، وهو ما تردَّد في قول سيبويه: "وقالوا: قرأت واقترأت يريدون شيئًا واحدًا.... وكذلك قلع واقتلع، وجذب واجتذب بمعنى واحد"[٣٥].

وكان هذا التَّعليل اللُّغويُّ خليقًا بأن يجد لنفسه أثرًا في توجيه هاتين الصِّيغتين في سياقهما، فاستقى الرَّاغب الأصفهانيَّ وجهته الدَّلاليَّة من كلام سيبويه؛ إذ "تبعه واتبعه قَفَا أثره... بالارتسام والائتمار"[٣٦].

ويكرر ابن منظور هذا الملحظ الدَّلاليَّ لوجه المناسبة بين المبنيين، وينقل عن أبي عُبيد، واللَّيث بن سعد الرَّأي نفسه في دلالة الصِّيغتين، يقول: "قال أبو عبيد: أَتْبَعْت القوم مثل أفعلت إذا كانوا قد سبقوك فلحقتهم، قال: واتَّبعْتُهم مثل: افتعلت إذا مرُّوا بك فمضيتُ وتَبعْتُهم تبعًا مثله.... وقال اللَّيث: تَبِعْتُ فلانًا واتَّبعْته وأتَبَعْته سواء"[٣٧].

ويستغلُّ الكرمانيّ[٣٨]. السِّياق اللُّغويَّ؛ لتأكيد هذا المعهود اللُّغويِّ لمبنى الصِّيغتين، فيرى أنَّ ما جِيءَ في طه بلفظ اتَّبع لموافقة قوله تعالى قبل ذلك: ﴿يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ﴾ [سورة طه آية ١٠٨].

ويناصر الأنصاريّ [٦٧] الكرمانيَّ فيما ذهب إليه، وزاد أنَّ آية البقرة على الأصل، وأنَّ السِّياق في آية طه لما بُني على التَّأكيد بقوله عزَّ وجل: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ﴾ [سورة طه آية ١١٥] ناسب أن تَختصَّ بالزِّيادة التي تفيد التَّأكيد.

وقد لحظ ابن الزُّبير الغرناطيّ[٦٨] أنَّ لكل واحد من الصِّيغتين تمايزًا عن الآخر؛ لأنَّ صيغة تبع ثلاثي هو الأصل، وصيغة اتبع مزيد هو الفرع، وما فيه من زيادة في المبنى يستلزم زيادة في المعنى، فإذا اشتركت الصِّيغتان في دلالتهما على الاتباع، فإنَّ تبع تدلّ على الاتِّباع الَّذي لا تكلُّفَ فيه ولا مشقة، وأمَّا اتبع فإنَّ هذه البنية افتعل تنبيء عن تكلُّف ومشقة، وتحميل للنَّفس طاقة أخرى.

ويستدلُّ ابن الزُّبير على هذا الفرق بقوله: "ألا ترى قول الخليل –عليه السلام– في إخبار الله تعالى عنه ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ [سورة إبراهيم آية ٣٦] حيث أشار بقوله: فإنه مني إلى الخاصَّة من سالكي سبيله... فعبَّر بما يشير إلى غاية التَّمسك والقرب حين قال: مِنِّي فناسب ذلك قوله: تبعني، يريد: الجري على مقتضى الفطرة، وميَّز الحق بديهًا بسابقة التَّوفيق من غير إطالة نظر أو كبير علاج لسَبقية الهدى ووضوح الشَّواهد. وفي طرف من حال هؤلاء مَنْ قيل فيه: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي

الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة القصص اية ٥٠]، وهذه الآية وأمثالها مراد بها من تعامى عن النظر في الدَّلالات، وترك واضح الاعتبار وحمَّل نفسه – بقدر الله – على ما لا يشهد له نظر ولا يقوم عليه البرهان، فكأنَّ هؤلاء.... عالجوا أنفسهم حتى انقادت طباعهم إلى غير ما تشهد به الفطرة".

ويواصل ابن الزُّبير تأكيد ذلك بعرض مزيد من الشَّواهد تؤكِّد صحة ما ذهب إليه، فيقول: "وكذلك قيل لمن وُسِمَ بالإسراف من عصاة الموحدين، فقيل لهم ﴿اتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم﴾ [سورة الزمر آية ٥٥]، وذلك لإلفتهم المخالفات، وانقياد نفوسهم لها احتاجوا في الإقلاع عن ذلك والأخذ في خلاف حالهم إلى التَّعمل والعلاج.

وكذا قيل لمن ألف الطَّاعات وارتاض لالتزامها ﴿لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ [سورة النور اية ٢١]؛ لإلفة نفوسهم الطَّاعات حتَّى إنَّهم إن وقعتْ منهم مخالفة فبتعمُّل وعلاج؛ لأنها خلاف المألوف"[٣٩].

ويعتمد ابن الزُّبير سياق الحال الوارد في سياق القصَّة محل السُّورتين؛ لأنَّ سورة البقرة لم يُذكر فيها من كيد إبليس كما ذكر في سورة طه فلم يرد في البقرة من كيد إبليس إلاَّ قوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾ [سورة البقرة آية ٣٦] من غير تفصيل وبيان لهذا الإضلال والإغواء، فكانت المناسبة الدَّلالية لمبنى تبع التي تعني مجرد الاتباع من غير تعمل، ولا تكلُّفَ، ولا مشقَّة.

وأمَّا في سورة طه فكان التَّفصيل، حيث ذكر كيفية الإغواء في قول الله ﷻ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لا يَبْلَى﴾ [سورة طه اية ١٢٠]، وذكر فيها قوة كيد اللَّعين واستحكام قبضته وحيلته حتى احتنك كثيرًا من البشر وأخلهم عن المستقيم؛ ومن ثم أصبح تمييز الحق لا يكون إلاَّ بتعمُّل ومشقَّة؛ لذا ناسب اتبع وجاء كلّ على ما يناسب معنى ونظمًا وإيجازًا، وإطالة مراعاة لسياق الحال في الآيات محل القصَّة القرآنية.

ويتابع البقاعيُّ[٤٠] ابن الزُّبير في توضيح الفرق بين الصِّيغتين وسرّ تغاير الاستعمال القرآنيّ لهما حيث احتكم لسياق الحال؛ لبيان الفرق مسترشدًا

بالسِّياق اللُّغويِّ فيكون الاختلاف في عرض القصَّة هو السَّبب في المغايرة بين الصِّيغتين، فلمَّا عُرضتْ القصَّة في سورة البقرة لم يرد فيها حكاية إغواء الشَّيطان لآدم وزوجه إلاَّ بصيغة مجملة، فجاء الفعل تبع.

وأمّا في سورة طه فقد ورد في القصَّة كيفية الإغواء، فلمَّا زاد ذلك قابله زيادة في صيغة الفعل.

لكن ابن جُمَّاعة يضيف إلى هذه التَّحليلات السَّابقة وجهًا آخر تحتمله صيغة افتعل؛ إذ يمكن في نظره أن تفيد تجديد الفعل، وقد علَّل لذلك بالرَّبط بين سياق فعل آدم – عليه السلام – ومعصيته، ففي سياق سورة طه جاء الفعل اتبع بعد قوله ولم نجد له عزما، وبقوله وعصى آدم ربه فغوى "فناسب فمن اتبع، أي: جدَّد قصد الاتباع"[٤١].

ويحتفي الدُّكتور السَّامرائي بسياق الحال؛ لإظهار الفرق بين صيغتي الفعل كلتيهما في مقامهما فقصة آدم – عليه السلام – في البقرة مبنية على تكريمه وتشريفه حيث ذكر فيها استخلاف آدم – عليه السلام – في الأرض، وتفضيله على الملائكة بتعليمه الأسماء كُلِّها، وجهل الملائكة بها، وكذلك تكريمه بإسجاد الملائكة له، فاكتفى في البقرة بالصِّيغة الأخفِّ مبنى تبع، ولم يُشدِّد على بني آدم؛ تخفيفًا عليهم؛ مراعاة لمقام التَّكريم والتَّشريف. وأمَّا في سياق آية طه جاء اتَّبع بالتَّشديد؛ لإفادة المبالغة.

ولم يكتف الدُّكتور السَّامرائي برؤيته هذه، بل ربط بين سياق الحال والسِّياق اللُّغويِّ، حيث جاء في أول البقرة قوله قلنا اهبطوا فالفعل قلنا أُسند إلى الله تعالى فناسبه: التَّخفيف الذي يفيد تلطُّف المولى سبحانه بعباده فجيء بالفعل تبع، كما أنَّ الفعل تبع تردَّد في سورة البقرة أكثر من أيِّ سورة أخرى فكان ذلك مناسبًا لمجيئه هنا[٤٢].

وتتغاير كذلك صيغتا كسب واكتسب في سياقهما؛ للدَّلالة على التَّنوّع الأسلو[٤٣]بيِّ الذي يُعدُّ نوعًا من أنواع الترابط النَّصي فقد كثر استعمال هاتين

الصِّيغتين في سياقات مختلفة من كلام ربِّنا سبحانه فوقف اللُّغويون، والمفسِّرون فِرقًا في تعليل ذلك التَّنوع وتلك المغايرة في مبنى الفعلين.

فاتَّجه خلق منهم – كأمثال ابن الجوزيّ[٤٤]، وأبي حيَّان[٤٥]، وابن عاشور[٤٦] – إلى أنَّ كسب واكتسب بمعنى واحد، فهما لغتان، ومعناهما واحد في كلام العرب، وإنَّما صار هذا التَّنوع في الاستعمال؛ تفنُّنًا وتحسينًا للكلام، وكراهية لإعادة الكلمة بعينها، وهي علَّة – كما ذكرنا قبلاً– يكثر دورانها في مثل هذا اللَّون من الحذف في الأبنية.

واستدلوا بسياق قوله تعالى: ﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾ [سورة الطارق آية ١٧] حيث أفاد الكرمانيُّ أنَّه عَدَل في الصِّيغة إلى أمهل؛ لأنَّه من أصل مهِّل وبمعناه؛ كراهة التَّكرار[٤٧].

وبقول ذي الرُّمَّة[٤٨]:

ومُطْعَمُ الصَّيدِ هبَّالٌ لِبُغْيَتِهِ أَلْفَى أَبَاهُ بِذَاكَ الكَسْبِ يَكْتَسِبُ

وقول النَّابغة[٤٩]:

إنَّا اقْتَسَمْنَا خُطَّتَيْنَا بَيْنَنَا فَحَمَلْتُ بَرَّةَ وَاحْتَمَلْتَ فَجَارِ كما أنَّ السِّياق القرآنيَّ للصِّيغتين جاء بالتَّسوية بين الكسب والاكتساب، يقول أبو حيَّان: "... وقد جاء القرآن بالكسب والاكتساب في مورد واحد. قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [سورة المدثر آية ٣٨]، وقال تعالى: ﴿ وَلاَ تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلاَّ عَلَيْهَا﴾ [الأنعام آية ١٦٤]، وقال تعالى: ﴿بَلَى مَن كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ [سورة البقرة اية ٨١]، وقال تعالى: ﴿بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا﴾ [سورة الأحزابآية ٥٨] فقد استعمل الكسب والاكتساب في الشَّرّ"[٥٠].

ويلحظ آخرون أنَّ ثمة سرًّا بلاغيًا لطيفًا كاد يبوح به تركيب المبنيين فهناك تمايز بين الكسب والاكتساب، وهو ما استلهمه الزَّمخشري الذي يرى أنَّ الاكتساب: اعتمال، فلمَّا كانت السَّيئات مِمَّا تشتهيه النَّفس وتَنجذب إليه وتأمر به كانت في تحصيله أجدّ، لذا جُعلت مكتسبة له، ولمَّا لم تكن النَّفس كذلك في الخير والحسنات وصفت بما لا دلالة فيه على المشقة والتَّعب، يقول: "فإن

قلت: لِمَ خَصَّ الخير بالكسب والشَّدَّ بالاكتساب؟ قلت: في الاكتساب اعتمال، ولمَّا كان الشَّرُّ ممَّا تشتهيه النَّفس، وهي منجذبة إليه، وأمّارة به كانت في تحصيله أعمل وآجد فجعلت لذلك مكتسبة فيه، ولمّا لم تكن كذلك في باب الخير وُصِفت بما لا دلالة فيه على الاعتمال"[٥١].

ويعتمد ابن عطيَّة في توضيح وجه المغايرة بين الصِّيغتين على الأمرين، الأول: في نمط الكلام وحسن تصريفه وإيقاعه في التَّركيب، وهو سرُّ المخالفة بين المبنيين والثَّاني: في دلالة المبنيين على الخير والشَّرِّ. يقول: "وكُرِّر فعل الكسب فخالف بين التِّصريف حُسْنًا لنمط الكلام، كما قال تعالى: ﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾ [سورة الطارق اية١٧] هذا وجهٌ، والذي يظهر لي في هذا أنَّ الحسنات هي ممَّا يُكسب دون تكلُّف؛ إذ كاسبها على جادَّة أَمر الله ورسم شرع، والسَّيئات تُكتَسَبُ ببناء المبالغة؛ إذ كاسبها يتكلَّف في أمرها خرق حجاب نهي الله تعالى، ويتجاوز إليها فَحَسُن في الآية مجيء التَّصريفين؛ إحرازًا لهذا المعنى"[٥٢]. واستظهر هذا التَّفريق الدَّلالي وقيمه البلاغيَّة: السَّمين[٥٣]، وابن جُزيّ[٥٤]، والألوسيّ[٥٥].

ولم يكن مستغربًا لدينا أن يسلك اللُّغويون والمفسِّرون هذا المسلك لبيان سرِّ التَّلوين بين المبنيين؛ إذ كان هذا التَّحليل موافقًا لسلفهم من أئمَّة اللُّغة، فهذا سيبويه يقول: "وأمَّا كسب فإنَّه يقول: أصاب، وأمَّا اكتسب فهو التَّصُّرف والطَّلب، والاجتهاد بمنزلة الاضطراب"[٥٦].

وكذا كان صنيع ابن جنيّ؛ لأنَّ "معنى كسب دون معنى اكتسب لما فيه من الزِّيادة"[٥٧].

ويجاري الرَّضي رأيَّ سيبويه، وصنيع ابن جنِّي "فمعنى كسب: أصاب، ومعنى اكتسب: اجتهد في تحصيل الإصابة بأن زَاوَل أسبابها"[٥٨].

وبالجملة فإنَّ سياق الكلام هو الَّذي يُعيِّن المتلقِّي على فهم سرِّ المغايرة بين الأبنية المتماثلة بحسب ما يُمليه منطق التَّعبير، وأحسب أنَّ هذه المغايرة دليل على القيمة التعبيريَّة الكبرى التي أملاها التَّركيب على

الصيغتين، وهي تكثيف دلالة التَّركيب بتعدُّدها واختلافها من مُتلقٍ إلى آخر بحسب نظره إلى السِّياق.

ج- تتابع أبنية الفعل:

وردت صيغة سبَّح في فواتح ثلاث سور: الحديد، والحشر، والصَّف في قوله سبحانه: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ﴾ وجاءت يُسِّبح في فاتحة الجمعة، والتَّغابن، وهي قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ﴾.

يشير أبو حيان[٥٩] إلى علَّة التَّلوين بين البناءين، وهي: الديمومة والاستمرار في تسبيح الله عزَّ وجل في السموات والأرض، فلمَّا أخبر بتسبيح المخلوقات بصيغة المضيّ أولاً أخبر أنَّ ذلك التَّسبيح دائم لا ينقطع، وأنَّه باق ببقائه سبحانه من خلال صيغة المضارع التي تدلّ على الاستمرار، واستحضار صورة التَّسبيح.

ولم يبتعد الرّازيُّ[٦٠]، والشَّوكانيُّ[٦١] عن هذا التَّأويل جمعًا بين المضيّ والاستقبال للبناءين؛ للدَّلالة على هذه الدَّيمومة.

وقد أفاد البغويُّ[٦٢]، وأبو السُّعود[٦٣]، والألوسيُّ[٦٤] بأنَّ هذه المغايرة فيها: إشعار بأنَّ من شأن المؤمن إذا أُسند إليه التَّسبيح أن يسبِّحه في جميع أوقاته مقارنة بالملأ الأعلى الذين يسبِّحون اللَّيل والنَّهار لا يفتُرون.

ويرى البقاعي[٦٥] أنَّ مجيء صيغة المضيِّ ثلاث مرَّات في فواتح الحديد والحشر والصَّف للإثبات المؤكّد، ثُمَّ حدث التَّحُول في التَّركيب إلى صيغة المضارع في سياق سورة الجمعة؛ ليدلَّ على استمرار وتجديد التَّنزيه له سبحانه لاستمرار ملكه، وأكّد ذلك في فاتحة التغابن، وفصل بين هذه السُّور بسورة خالية من التَّسبيح؛ ليكون ذلك أولى على قصد التَّأكيد من حيث شدَّة الاعتناء بالذِّكر، وإن وقع فصل بين المسبِّحات.

ويتتبع الكرمانيُّ[٦٦] صيغة سَبَّح في السِّياق القرآني كلّه فألمح إلى أنَّ المغايرة بين الماضي والمضارع في السِّياقات السَّابقة وصيغة الأمر في سورة الأعلى ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾ [سورة الأعلى اية ١]، والمصدر في

الإسراء: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً﴾ [سورة الإسراء اية ١] جاءت استيعابًا، واستيفاءً لهذه الصِّيغة من حيث الوجهة الدَّلاليَّة لجميع صورها في سياقاتها.

وممَّا سبيله ذلك السَّبيل من التَّنوع بين الماضي والمضارع صيغتا: يُضل، وضَلّ حيث تغايرت الصِّيغتان في سياقهما فجاءت صيغة المضارع في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِ﴾ [سورة الأنعام اية ١١٧] وجاءت صيغة المضيّ في قوله سبحانه: في ثلاث مواضع: [سورة النحل اية ١٢٥]، و[سورة النجم ٣٠]، و[سورة القلم اية ٧].

وقد اعتمد الإسكافيّ[٦٧] على السِّياق اللُّغويّ السَّابق واللاَّحق في ربط صيغة المضارع بالنَّسق القرآنيّ فقبلها قوله تعالى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللهِ﴾ [سورة الأنعام اية ١١٦]، وبعدها: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [سورة الأنعام اية ١١٩].

وعلى هدي من هذا الاعتماد يأتي ابن الزُّبير[٦٨]؛ ليعلِّل مجيء سياق آية النَّجم بصيغة الماضي؛ لأنَّها مبنيَّة على مطلع السُّورة، وهو قوله عزَّ وجل: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى* مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾ [سورة النجم ١، ٢]، فبرَّأ الله نبيَّه – ﷺ- ممَّا قالوه، وأثبت ذلك لهم بكناية وتعريض أوقع في نفوسهم من التَّصريح فقال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى﴾ [سورة النجم أية ٣٠].

ويلون ابن جُمَّاعة[١٢٧] بين السِّياقين اللُّغويّ والحاليّ، حيث يوافق الإسكافيّ في تحليل صيغة آية الأنعام، وذكر أنَّها جاءت بالمضارع؛ لما تقدَّمها، ولكنّه يستعمل سياق الحال في تأويل صيغة المضيّ في سياقاتها فهي إخبار عمّا سبق منه الضَّلال. وبمثل هذا القول قال الفخر الرازيُّ حيث أشار إلى أنَّ صيغة المضيّ تدلُّ على حصول الضَّلال في الماضي، بدليل سياق الأمر بالإعراض عن المجرمين ﴿أَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّى عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلاَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [سورة النجم ٢٩].

وأمَّا صيغة المضارع يَضِلُّ فلأن قبلها قرينة السِّياق اللُّغويِّ وهي قوله سبحانه: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللهِ﴾ [الأنعام ١١٦] فناسب المضارع.

ويلوِّن الأسلوب القرآني – كذلك – بين صيغتي: يُرسل التي للمضارع وأرسل التي للمضيّ، حيث وردت الصِّيغة الأولى في سياق إرسال الرياح من قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ [سورة الأعراف ٥٧]، وقوله تعالى: ﴿اللهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ [سورة الروم ٤٨]، وجاءت الصِّيغة الثَّانية في السِّياق نفسه من قوله عزَّ وجل: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ [سورة الفرقان ٤٨]، وقوله: ﴿وَاللهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ [سورة فاطر ٩]. فما الفرق الدَّلاليُّ بينها؟

ارتكز الخطيب والإسكافي[٦٩] في وصف هذه الظَّاهرة على السِّياق اللُّغويّ ونظم القرآن، فيرى أنَّ ما جاء على ظاهر نسقه إلى مشاكلة ما قبله من حيث العلاقة الدَّلاليَّة بين الصِّيغة ودلالة التَّركيب قبلها فجاءت صيغة في الأعراف بلفظ المستقبل؟ لأنَّ قبلها قوله تعالى: ﴿وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة الأعراف ٥٦].

فلمَّا تقدَّم ذكر الخوف والطَّمع اللَّذين يكونان في المستقبل ورد الفعل بهذه الصِّيغة لشبهه بما قبله.

وأضاف ابن الزُّبير[٧٠]، وابن جُمَّاعة[٧١]: تقدَّم مجيء ﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾ [سورة الأعراف ٥٤] بلفظ المستقبل؛ لأنَّ ذلك يتكرّر فكانت المناسبة بين الصِّيغة وما ورد في السِّياق بلفظ المستقبل.

أمَّا آية الفرقان فقد جاءت بلفظ المضيّ؛ لأنَّ قبلها قوله عزَّ وجل: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾ [سورة الفرقان ٤٧] فعدَّد في السِّياقين: ما أنعم به على عباده بصيغة المضيّ مرات. وإرسال الرِّياح من هذه النِّعم، كما أنَّ بعد الآية ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ

الْبَحْرَيْنِ﴾ [سورة الفرقان آية ٥٣]، ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاء بَشَرًا﴾ [سورة الفرقان ٥٤] فكان المناسب: لفظ المضيّ؛ اعتمادًا على السِّياق اللُّغويِّ السَّابق واللاَّحق[٧٢].

وسياق آية الرُّوم جاءت – كذلك – بلفظ المستقبل لمجيء الآية قبلها بلفظ المستقبل ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَن يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِن رَّحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ﴾ [سورة الروم ٤٦] فناسب ذلك يرسل؛ ليكون على بناء ما قبله لفظًا ، وأمَّا آية فاطر فجاءت بلفظ الماضي أرسل؛ لأنَّ أوَّل السُّورة ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلائِكَةِ﴾ [سورة فاطر آية ١] فناسب مجيء الفعل بالمضي؛ لبناء التَّركيب قبله.

وذكر ابن جُمَّاعة[٧٣] تعليلاً آخر عند سياق آية فاطر، وهو أنه تقدم قبل ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [سورة فاطر آية ٣]، وإنَّما يُذَكَّر بشكر النِّعم الماضية على زمن الشُّكر، فكانت المناسبة مجيء الفعل ماضيًا.

وأرجع أبو حيَّان[٧٤] اختلاف الصِّيغتين؛ للتَّصرف في البلاغة، وللتَّفنُّن في الكلام.

المبحث الثالث

المغايرة بين الاسم والفعل في التركيب وأثره على المعنى

طريقة من طرق التَّلوين في الخطاب ففي القرآن الكريم أبنية متماثلة من حيث الاسميَّة والفعليَّة، فترِد في موطن بالصِّيغة الاسميَّة، وفي موطن آخر بالصِّيغة الفعلية.

ويقول الفخر الرازيُّ: "الاسم له دلالة على الحقيقة دون زمانها، فإذا قلت: زيد منطلق لم يُفِدْ إلا إسنادَ الانطلاق إلى زيد. وأمَّا الفعل فله دلالة على الحقيقة وزمانها، فإذا قلت: انطلق زيدٌ أفاد ثبوت الانطلاق في زمان معين لزيد، وكلُّ ما كان زمانيًّا فهو متغير، والتَّغيُّر مُشْعِر بالتَّجدد، فإذن الإخبار بالفعل يفيد وراء أصل الثُّبوت كون الثَّابت في التَّجدد والاسم لا يقتضي ذلك"[٧٥].

وإذا كان المراد إفادة التَّجدُّد كان المسند فعلاً، وأمَّا "الحالة المقتضية لكونه اسمًا فهي: إذا لم يكن المراد إفادة التَّخصيص بأحد الأزمنة الثَّلاثة إفادة الفعل لأغراض تتعلَّق بذلك"[٧٦].

فإذا كان هناك آيات قرآنيَّة وردت فيها مفردات بالصِّيغة الاسميَّة وفي نظائرها بالصِّيغة الفعليَّة، فلابد أن يكون هناك سبب للتَّخصيص بحيث لا يُمكن أن تقع مفردة مكان نظيرتها، ولو وقعن لاختلَّ النَّظم.

أ- بين الفعل المضارع والمصدر:

وردت صيغة يكذبون في قوله عزَّ وجل: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ﴾ [سورة الانشقاق آية ٢٢]، وصيغة المصدر تكذيب في قوله سبحانه: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ﴾ [سورة البروج آية ١٩].

استغلَّ الخطيبُ الإسكافيُّ العلَّة نفسها في الكشف عن سرِّ هذا التَّغاير في مبنى الفعلين، فربط بينه وبين السِّياق اللُّغويِّ المتمثِّل في الفواصل في السُّورتين مع صحَّة المعنى واللَّفظ.

فالصِّيغتان معناهما واحد، وإنَّما اختلف اللَّفظان، مراعاة للفواصل فصيغة المضارع؛ مراعاة لما قبلها، وصيغة المصدر جاءت في فواصل مردفة بياء، أو واو، يقول: "إنَّ ما قبل الأولى: ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ* وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لا يَسْجُدُونَ* بَلِ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ﴾ [سورة الانشقاق ٢٠: ٢٢] فكانت الفواصل التي تقدمتها على يفعلون فجعلت هذه تابعة لها مع صحة المعنى واللَّفظ، والثَّانية في فواصل بياء أو واو، وهي قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ* فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ* بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ* وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ﴾ [سورة البروج ١٧: ٢٠] وعلى ذلك بُنيت السُّورة فكان حملها على نظائرها من السُّور أولى مع صحَّة اللَّفظ والمعنى"[٧٧]. ووافقه في مراعاته لفواصل الآيات؛ اعتمادًا على السياقين اللُّغويِّ والحاليِّ: الكرمانيُّ[٧٨]، والأنصاريُّ[٧٩].

ولحظ ابن الزُّبير الغرناطيُّ إيثار النَّسق القرآنيِّ المغايرة بين الصِّيغتين لسياق الحال في التَّركيبين وعلاقته بالسِّياق السَّابق للصِّيغتين كلتيهما، فآية الانشقاق سبقها وعيد لم يقع، فناسب الإتيان بلفظ المضارع للدَّلالة على الحال والاستقبال.

أمَّا آية البروج فقد سبقها معاقبة آل فرعون وأخذهم وقد مضى زمانهم، فناسب الإتيان بالمصدر؛ ليدلَّ على أنَّ ذلك شأنهم فيما سبق وأنَّ ذلك شأنهم أبدًا، فيقول: "إنَّ آية الانشقاق تقدَّمها وعيدٌ أخروي علَّة لم يقع بعد، وهم مكذِّبون بجميعه، فجيء هنا باللَّفظ المقول على الاستقبال.... فأمَّا آية البروج فقد تقدمها قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ* فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾ [سورة البروج ١٧، ١٨]، وحديث هؤلاء وأخذهم بتكذيبهم قد تقدَّم ومضى زمانه وهؤلاء مستمِّرون على تكذيبهم فقيل: في تكذيب وجيء بالمصدر؛ ليحرز تماديهم، وأنَّ ذلك شأنهم أبدًا فيما أخبرهم به"[٨٠].

ولم يقف التَّوجيه الدَّلالي لهذه المغايرة عند حدِّ الفعليَّة والاسميَّة ودلالتهما، بل تعدَّاها لأغراض أخرى يتمخض عنها السِّياق في موضعه، من

هذه الأغراض: عدم مماثلة قوم فرعون وثمود لهؤلاء المكذبين، بل هم أشدّ تكذيبًا وطغيانًا، كما أنَّ التّكذيب محاط بهم من كل مكان، هذا ما ألمح إليه الأوسي – في توجيه آية البروج – بقوله: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي من قومك.... ﴿ فِي تَكْذِيبٍ﴾ اضطراب انتقالي عن مماثلتهم لهم أي قوم فرعون وثمود، وبيان لكونهم أشدّ منهم في الكفر والطغيان كما نبئ عنه العدول عن يكذبون إلى في تكذيب المفيد لإحاطة التكذيب بهم إحاطة الظرف بمظروفه أو البحر بالفريق منه...."[٨١].

ومعنى الإحاطة التي ذكرها الألوسي مستفادة من السِّياق اللُّغوي في التَّركيب فحرف الجر في يفيد معنى الظَّرفية، وهو أصل معانيها، يقول سيبويه: "وأمَّا في فهي للوعاء"[٨٢]، وذكر هذا المعنى المبرِّد[٨٣]، وابن السَّرَّاج[٨٤]، وأكَّده الرُّمانيّ[٨٥]، والزَّبيديّ[٨٦]، والجرجانيّ[٨٧]، والعكبريّ[٨٨]، والزَّمخشريّ[٨٩]، وتبعه ابن يعيش، والحيدرة[٩٠]، ونصَّ ابن عُصفور[٩١] على أنَّها للوعاء حقيقة ومجازًا، وكذا المالقيّ[١٨٦]، والرَّضيّ[٩٢]،
والمراديّ[٩٣]، والإربليّ[٩٤]، وابن هشام[٩٥]، فكأنَّ التَّكذيب وعاء ضمَّ الكافرين وأحاط بهم، كما أنَّ هذا المعنى مناسب مع النَّسق القرآني بعد آية البروج، وهو قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ﴾.

ب- بين الفعل المضارع واسم الفاعل:

وردت الصِّيغتان يُخرج ومُخرِج في سياق قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ﴾ [الأنعام ٩٥] حيث جاء المعطوف فيها اسمًا مُخرج وفي سياق قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ [سورة يونس ٣١، وسورة الروم ١٩] حيث جاء المعطوف فعلاً ويخرج.

وقد ظهرت المغايرة في السِّياقين في أحوال المسند بين صيغتي الفعل والاسم وهذه المغايرة تمثِّل في النَّص نوعًا من أنواع التَّرابط؛ لأنَّ الأصل أن يعطف الفعل على الفعل، والاسم على الاسم.

وقد اختلفتْ نظرة اللُّغويين والمفسِّرين في توضيح تلك المغايرة في قوله ﴿وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ﴾، أهو معطوف على الفعل الذي قبله أم على اسم الفاعل في: ﴿فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾؟ فذهب الأكثرون منهم إلى أنَّه معطوف على اسم الفاعل فالق الحب وهذا ما أفصح به الخطيبُ الإسكافيُّ[٩٦]؛ اعتمادًا على السِّياق اللُّغويِّ السَّابق في قوله: ﴿فَالِقُ الْحَبِّ﴾ واللاَّحق في قوله: ﴿فَالِقُ الإِصْبَاحِ﴾ [سورة الأنعام ٩٦]، وعدَّ ذلك من باب التَّناسُب والتَّناسق اللَّفظيِّ في التَّركيب.

وعلى غرار هذا الإفصاح يأتي الزمخشريُّ متسائلاً: "كيف قال: ﴿وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ﴾ بلفظ اسم الفاعل، بعد قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾؟ قلت: عطفه على ﴿فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾ لا على الفعل. و﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ موقعه موقع الجملة المبنيَّة لقوله ﴿فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾؛ لأنَّ فلق الحبِّ والنَّوى بالنبَّات والشَّجر النَّاميين من جنس إخراج الحي من الميت؛ لأنَّ النَّامي في حكم الحيوان، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وَيُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [سورة الروم ١٩]". ويجاري الإسكافيَّ والزمخشريَّ في تحليلهما: الكرمانيُّ[٩٧]، والأنصاريُّ[٩٨].

ونقل ابن الزُّبير الغرناطي[٩٩] قول الزمخشريِّ وعدَّه من حسناته، وأبو حيَّان[١٠٠]، وأبو ريَّان[١٠١]، واقتصر العزّ بن عبد السلام[١٠٢] على هذا الوجه ولم يُجز غيره، فلا يجوز عطف الاسم على الفعل.

وذكر السَّمين الحلبيُّ[١٠٣] وجهين في اسم الفاعل مخرج: الأوّل: ما تقدَّم من كونه معطوفًا على فالق، والثَّاني: أنَّه معطوف على يخرج ويؤول الفعل حينئذ بالاسم، واستدلَّ بقول الشَّاعر[١٠٤]:

فَأَلْفَيْتُه يَوْمًا يُبِيرُ عَدُوَّهُ ومَجْرٍ عَطَاءً يَسْتَخِفُ المعَابِرا أي: مُبيرًا.

وقد اختلفت نظرة الرّازيّ[١٠٥] عن سابقيه في بيان نكتة المخالفة بين اسم الفاعل والفعل المضارع، وأفاد أنَّ لفظ الفعل يدلُّ على اعتناء الفاعل بذلك الفعل في كل حين وأوان، وأمَّا لفظ الاسم فإنَّه لا يفيد التَّجدُّد والاعتناء به

ساعة فساعة، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾ [سورة فاطر اية ٣] ، فقوله: يرزقكم جاء فعلاً؛ ليفيد أنَّه يرزقهم حالاً فحالاً وساعة فساعة، وأمَّا الاسم فمثل قوله سبحانه: ﴿وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾ [سورة الكهف ١٨]، فاسم الفاعل باسط يدلّ على الثَّبات والبقاء على تلك الحالة.

ويؤكد الرازيُّ هذه المناسبة بين الاسم والفعل، وهي أنَّ: "الحيّ أشرف من الميت فوجب أن يكون الاعتناء بإخراج الحيّ من الميت أكثر من الاعتناء بإخراج الميت من الحيّ؛ فلهذا المعنى وقع التَّعبير عن القسم الأول بصيغة الفعل، وعن الثَّاني بصيغة الاسم؛ تنبيهًا على أنَّ الاعتناء بإيجاد الحيِّ من الميت أكثر وأكمل من الاعتناء بإيجاد الميت من الحيّ"[١].

ويستغل ابن عاشور هذا التَّحليل ويعلِّله بأنَّ: "أحد الإخراجين ليس أولى بالحكم من قرينه....".

وقد استخلص ابن أبي الأصبع دلالة أخرى من هذا التَّلوين قال: "وأمَّا قوله يخرج الحي بلفظ الفعل عند تقديم إخراج الحيِّ لِمَا في الحيِّ من الحركة التي تعينه عند الخروج، فخروجه أسهل على مخرجه من خروج الميت من الحي، فاقتضت البلاغة تقديمه بلفظ الفعل المقتضي للحال والاستقبال؛ ليكون ذكر خروج الميت بعده انتقالاً من الأدنى إلى الأعلى، وجعل خروج الميت مستندًا إلى لفظ الفاعل المضاف الدّال على المضيّ؛ ليكون خروج الأصعب مفرغًا من وقوعه؛ ليكون أدلّ على القدرة وأبلغ في التمّدح"[١٠٦].

ومن الصِّيغ التي تتغاير بين الاسميَّة والفعليَّة في سياقهما، صيغتا: أنصح وناصح فهاتان الصِّيغتان كلتاهما وردتا في قصتين مختلفتين الأولى في سياق قصة نوح – عليه السلام– في قوله تعالى: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاَتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ﴾ [سورة الأعراف ٦٢]، والثَّانية في سياق قصة هود – عليه السلام – من قوله تعالى: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنَاْ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ [سورة الأعراف آية ٦٨].

جاء التَّركيب الأوَّل باستعمال المسند فعلاً: أنصح لكم، وفي التَّركيب الثَّاني جاء المسند اسمًا: ﴿وَأَنَا۠ لَكُمۡ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾، فما سرُّ المغايرة بين البناءين؟.

يُرجع الخطيبُ الإسكافيُّ[١٥٦] وجه المغايرة إلى أنَّ نوحًا ضُلِّل من قومه، قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [سورة الأعراف ٦٠]، وأمَّا هود فَسُفِّه من قومه، قال سبحانه: ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ﴾ [سورة الأعراف آية ٦٦] ، والضَّلال من صفات الأفعال! والسَّفاهة من صفات النَّفس، وهي معنىً ثابت وضدها الحلم، فلمَّا عيب نوح – عليه السلام– بفعل مذموم نفاه بفعل محمود بل بأفعال محمودة. وأمَّا هود – عليه السلام– فرُمِي بالسَّفاهة، وهي صفة مذمومة ثابتة فلا يَتحوّل عنها الإنسان سريعًا، فكان المناسب نفي ذلك بصفة أو صفات ثابتة ناصح أمين، أي ثابت في النُّصح لا أنتقل عنه إلى غشٍّ.

وأقرب من هذا التَّوصيف لتلك المغايرة ما ذهب إليه ابن جُمَّاعة[١٠٧] حيث ذكر أنَّ الضَّلال صفة غير ثابتة فيمكن الخلوص منه سريعًا، وهو يتجدَّد بترك الصَّواب إلى ضده فقُوبل في قول نوح – عليه السلام– بفعل يناسبه وأنصح. وأمَّا هود فقد اتُّهم بالسَّفاهة، وهي من الصِّفات اللاَّزمة لصاحبها فقابلها بصفة ثابتة كذلك ناصح أمين.

كما أدرك الفخر الرازيُّ دلالة التَّلوين بين الفعليَّة والاسميَّة على التَّجدُّد والثَّبات "فلمّا كان من عادة نوح – عليه السلام– العود إلى تجديد تلك الدعوة في كل يوم، وفي كل ساعة لا جرم ذكره بصيغة الفعل فقال: وأنصح لكم. وأمّا هود – عليه السلام– فقوله: وأنا لكم ناصح يدلُّ على كونه مثبتًا في تلك النَّصيحة مستقرًا فيها"[١٠٨].

وعلى طريقة الرَّازيِّ في توصيفه يأتي ابن الزُّبير الغرناطيُّ موضحًا الفارق الأساس بين الفعليَّة والاسميَّة في الاستعمال فذكر أنَّ نوحًا في سياق الآية الأولى "بيَّن لهم نصحه واستمراره في إبلاغهم ونصحهم فقال: ﴿أُبَلِّغُكُمۡ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمۡ﴾، ثُمَّ أتبع بتعريفهم بجهلهم بما عنده من ربه وبعلمه

هو بذلك فقال: ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾، وإنَّما قال: وأنصح، وأعلم؛ ليعلم بتماديه على النُّصح لهم وهم لا يشعرون ولا يهتدون... وأمَّا جواب هود -عليه السلام- فإنَّما أتى في إخبارهم بنصحه وأمانته بالاسم فقال: ناصح أمين، ولم يقل أنصح فيأتي بالفعل؛ ليحصل منه أنَّ ذلك الوصف الجليل لازم له غير مفارق، ولم يكن الفعل ليعطي ذلك، فجاء بالاسم وجعله الخبر عن ضميره الذي هو أنا"[١٠٩].

ودلالة الصِّيغة الفعليَّة على التَّجدُّد والاستمرار جاء بالتَّأكيد في السِّياق القرآنيِّ على لسان نوح -عليه السلام- ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَارًا* فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلا فِرَارًا *وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا *ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا* ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ [سورة نوح ٥: ٩].

وتتجاوب القيمة التَّعبيرية للتَّركيب التي ارتادها ابن الزُّبير ههنا مع مراعاة السِّياق القرآنيِّ لنسق المغايرة بين الفعليَّة الدَّالة على الحدوث والتَّجدُّد والاسمية الدَّالة على الثُّبوت والاستقرار للتَّركيبين: ﴿قَالُواْ آمَنَّا﴾، و﴿قَالُواْ إِنَّا مَعَكْمْ﴾ في سياق قوله تعالى في وصف المنافقين: ﴿وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُواْ إِنَّا مَعَكْمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ [سورة البقرة اية ١٤]، حيث ذكر أنَّ: "المنافقين خاطبوا المؤمنين بالصِّيغة الفعليَّة الدَّالة على الحدوث والتَّجدُّد آمنا، وخاطبوا إخوانهم وشياطينهم بالصِّيغة الاسميَّة الدَّالة على الثبوت والدَّوام فقالوا: إنا معكم"[١١٠].

والتَّحوُّل في التَّركيب من الفعليَّة إلى الاسميَّة؛ إظهار للثَّبات على معتقدهم الفاسد، وأنَّ ما خاطبوا به المؤمنين أمر متجدِّد بسبب لقائهم؛ تُقْيَة فقط[١١١].

ويميل الكرمانيُّ[١١٢] للسِّياق اللُّغويّ؛ لبيان الدَّقيقة التَّعبيريَّة للتَّغاير بين الفعليَّة والاسميَّة في سياقهما، حيث رأى أنَّ مجيء الصِّيغة الفعليَّة أنصح للمناسبة اللَّفظيَّة في صدر الآية أبلغكم، فعطف عليه وأنصح كما عطف

الماضي على الماضي في سياق الآية الأخرى ﴿لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالاَتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾ [الأعراف ٩٣]، وأمَّا في قول هود – عليه السلام – فورد اسم الفاعل ناصح؛ ليقابل اسم الفاعل في قولهم: ﴿وِإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [سورة الأعراف آية ٦٦] فقوبل الاسم بالاسم. ووافقه على هذا التَّحليل النَّسفيُّ[١١٣]، وأبو حيَّان[١١٤].

ومن ثَمَّ تتمثَّل أمامنا – عمليًا – القيمة الجماليَّة والتَّعبيريَّة للتَّلوين بين الفعليَّة والاسميَّة، ففي قول نوح – عليه السلام – وأنصح ما يدلُّ على التَّجدُّد والاستمرار؛ فإنَّ قومه كانوا يرمونه بالضَّلالة، ومع ذلك لا يترك نصحهم لكراهيته، أو بذاءتهم[١١٥]، فكان – عليه السلام – يُجدِّد في الخطاب والدعوة في كل يوم وساعة في اللَّيل والنَّهار ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَارًا﴾ [سورة نوح آية ٥] فوصفهم إيَّاه بالضَّلال وصف عارض يمكن تركه إلى نقيضه من الهدى، فناسبه الصِّيغة التي تدلُّ على الحدوث، فجاء بعده قوله: وأنصح؛ ليناسب الحدوثُ الحدوثَ[١١٦].

وأما هود – عليه السلام – فقال: ناصح أمين؛ ليدلَّ على أنَّه ثابت في نصحه، وأنَّ النُّصح صفة لازمة له كما يدلُّ على ذلك اسم الفاعل الذي يدلُّ على الثَّبات[١١٧]، والسَّفاهة التي وصف بها: صفة لازمة لصاحبها ثابتة فيه، فأتى بالصِّيغة التي تدلُّ على الثُّبوت ناصح؛ ليناسب الثُّبوتُ الثُّبوتَ[١١٨].

المبحث الرابع

أحوال أبنية الألفاظ وتأثيره في المعنى

أولاً: التعريف والتَّنكير:

يراوح النَّظم القرآنيُّ في كثير من سياقاته بين التَّعريف والتَّنكير؛ تبعًا لما يناسب المقام، فقد نجد الصِّيغة تتلوَّن في النَّصِ القرآنيِّ بين التعريف والتَّنكير.

والاسم المعرف بأل يُعد في نظر النَّحويِّين أقرب المعارف إلى النَّكرة، يقول ابن يعيش: "فالألف واللام أبهم المعارف وأقربها من النكرات؛ ولذلك نُعتت بالنكرة، كقولك: أني لأمر بالرجل غيرك فيمنعني وبالرجل مثلك فيعطيني؛ لأنَّك لا تقصد رجلاً بعينه...."[[119]].

وربما يظهر في بعض الأسلوب القرآني أنَّ الاسم المنكَّر بمنزلة المعرَّف وبالعكس خاصة إذا كانت اللاَّم للجنس، على أنَّ الاسم لا يكتسب قيمته البلاغيَّة لكونه نكرةً أو معرفةً، وإنما للسِّياق الذي سيق فيه، وهذا ما بيَّنه عبد القاهر الجرجاني في ثنايا حديثه عن نظرية النَّظم من ذلك تنكير لفظ الحياة في قوله تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ﴾ [البقرة ٩٦] قال: "إذا أنت راجعت نفسك وأذكيت حسَّك وجدت لهذا التَّنكير، وإن قيل: على حياة، ولم يقل: على الحياة حُسنًا وروعة ولطف موقع لا يقادر قدرته وتجدك تعدم ذلك مع التَّعريف، وتخرج عن الأريحيَّة والأنس إلى خلافهما...." [[120]].

وقد وردت أبنية اختلفت من حيث التَّنكير والتَّعريف في نسيج النَّظم القرآنيِّ من ذلك:

أ- لفظ "الحق" بالتَّعريف والتَّنكير:

فورد معرَّفًا في قوله تعالى: ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [سورة البقرة آية ٦١]، ومنكَّرًا في قوله ﷻ: ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [سورة آل عمران أية ٢١]، وقوله تعالى: ﴿وَيَقْتُلُونَ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [سورة آل عمران ١١٢].

هذه المغايرة بين التَّعريف والتَّنكير ترتبط بالسِّياق اللُّغويِّ المصاحب لكل لفظة، وهذا ما انساق إليه ابن الزُّبير في تحليل الصِّيغتين؛ إذ ربط بين مواضع البقرة وآل عمران وسياق السُّور، فقال: "ولمَّا كانت الأولى في سورة البقرة إنَّما هي في سلفهم فمّن لم يشاهد أمر محمد – ﷺ– وقد وقع في الإفصاح فيها بكفرهم بعد تعريفهم بذكر آلاء ونعم وقد ورد فيها أنَّ بعض تلك المرتكبات، أو أكثرها قد عفي عنهم فيها، ولاشك أنَّ بعضهم قد سلَّم ممَّا وقع منه الأكثر من كفرهم.... فهم وإن وصفوا من الكفر والاعتداء بما وصفوا ليسوا في ارتكاب البُهت والمجاهرة بالباطل وموالاة التمرد والاعتداء وحال معاينة البراهين.... فناسب حال أولئك الذين لم يشاهدوه ما وقع التَّعبير به من قوله تعالى: ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [سورة البقرة آية ٦١]؛ إذ ليس المعرَّف في قوة المنكَّر المرادف لقولك بغير سبب، وأيضًا فقد تقرر عندهم أنَّ مسوِّغ قتل النَّفس تقدم قتل النفس بغير الحق، قال تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ [سورة المائدة آية ٤٥]، وتقرَّر عندهم رجم الزاني المحصن، وقد عرفنا ذلك من دينهم بالخبر الصَّحيح، وأنَّهم اعترفوا بذلك عند النبي – ﷺ – بعد إنكارهم.... وكيف ما كان فقد استقرَّ عندهم ما يسوغ القتل ويوجبه بعد الإيمان، وقد علموا أنَّ الأنبياء – عليهم السَّلام – مبرؤون من ذلك كلِّه، فقوله تعالى: ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ أي بغير وجه الحق المبيح للقتل، فالألف واللاَّم للعهد في المسوِّغ المتقرر في شريعتهم فقد افترق مقصد الآيتين، وأمَّا الأولى من آيتي آل عمران فخاصَّة بالمتمادين منهم على الكفر، ولا تتناول الآية من أوَّلها إلى آخرها خلافه فهي كالآية الثَّانية فيما أعطته ودلَّت عليه من التَّمرد والتَّمادي على الضَّلال فناسبها التَّذكير كالتي بعدها وهما معًا من التَّمرد والتَّمادي على الضَّلال فناسبها التَّذكير كالتي بعدها وهما معًا بخلاف آية البقرة؛ إذ لم يتقدم في هاتين ما تقدم في تلك ولا حالة المذكورين في هاتين كحال من ذكر في تلك"[١٢١].

واتَّجه البقاعيُّ اتجاهًا مغايرًا، حيث نظر إلى التَّنكير في آل عمران على أنَّه أبلغ من التَّعريف في البقرة، قال: "ولمَّا كان قتلهم إياهم بدون شبهة أصلاً بل لمحض الكفر والعناد؛ لأنَّ الأنبياء مبرؤون من أن يكون لأحد قبلهم حق دنيويّ أو أخرويّ، قال: بغير حق، أي لا صغير ولا كبير في نفس الأمر ولا في اعتقادهم، فهو أبلغ ممَّا في البقرة على عادة أفعال الحكماء في الابتداء بالأخفِّ فالأخف"[[١٢٢]].

ومهما يكن من شيء فمقصد هذه الآيات بيان جرائم بني إسرائيل، وكان قتل الأنبياء من أعظم هذه الجرائم؛ لذا كانت المبالغة في تنويع هذا القيد بغير الحق بين التَّعريف والتَّنكير. أمَّا التَّعريف فللإشارة إلى أنَّ قتلهم الأنبياء لم يكن بحق مشروع معهود عندهم أو عند غيرهم، وأمَّا التَّنكير فللإيذان بأنَّ صنيعهم لم يكن بغير حق مطلقًا.

ثانيًا: التذكير والتَّأنيث:

. وقد جاء في قوله تعالى عن الضلالة (فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ (٣٠) الأعراف) وقوله تعالى (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (٣٦) النحل). ونرى أنه في كل مرة يذكر فيها الضلالة بالتذكير تكون الضلالة بمعنى العذاب لأن الكلام في الآخرة (كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ (٢٩) الأعراف) وليس في الآخرة ضلالة بمعناها لأن الأمور كلها تنكشف في الآخرة. وعندما تكون الضلالة بالتأنيث يكون الكلام في الدنيا فلمّا كانت الضلالة بمعناها هي يؤنّث الفعل.

فللأسلوب القرآني طريقته في مغايرة الإحالات بين التَّذكير والتأنيث وهذه المغايرة لا تخلو من فائدة أو غرض بلاغيّ، وهو ما سنحاول عرضه وبيانه من خلال النَّصوص الآتية:

أ- التعريف والتنكير:

ورد لفظ النَّار معرَّفًا في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم ٦]، وورد منكَّرًا في قوله تعالى مخاطبًا الكافرين: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة ٢٤].

يربط أبو حيَّان بين سياق اللَّفظين وبين نزول السُّورتين – ترتيبًا –، حيث ورد لفظ النَّار منكرًا في سياق سورة التَّحريم المكيَّة، وجاء معرَّفًا بالكلاَّم في آية البقرة المدنية، فسورة التَّحريم نزلت في مكة قبل البقرة؛ لذا جاءت نكرة في أوَّل النُّزول، ثُمَّ عرفت فيما نزل بالمدينة، يقول: "وعرف النَّار هنا؛ لأنَّه قد تقدّم ذكرها نكرة في سورة التَّحريم، والتي في سورة التَّحريم نزلت بمكة وهذه المدينة، وإذا كُرِّرت النكرة سابقة ذكرت ثانية بالألف واللاَّم وصارت معرفة؛ لتقدَّمها في الذِّكر ووصفت بالتي وصلتها والصِّلة معلومة للسَّامع؛ لتقدُّم ذكر قوله: ﴿نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾، أو لسماع ذلك من أهل الكتاب قبل نزول الآية"[١٢٣].

بينما يرى البقاعيُّ أنَّ: "تعريف النَّار وصلة الموصول؛ لأنَّ أخبار القرآن بعد ثبوت أنَّه من عند الله معلومة مقطوع بها فهو من باب تنزيل الجاهل منزلة العالم؛ تنبيهًا على أنَّ ما جهله لم يجهله أحد"[١٢٤].

وبالجملة فإنَّ لفظ النَّار أحال إلى شيء معهود ذهنيًا قد مضى ذكره، وهو لفظ النَّار منكَّرًا في سورة التَّحريم، ولعلَّ في هذه المغايرة تهديدًا ووعيدًا للكافرين فقد أراد سبحانه قرع الآذان بلفظة النَّار معرفة تارة، ومنكرة أخرى والنُّفوس بطبيعتها تنزجر بتكرار الوعيد وهو ما يعد طريقة من طرق القرآن.

– التَّذكير والتَّأنيث في الأسماء الظَّاهرة:

تردَّد في ذلك لفظ ذِكْر بالتَّذكير والتَّأنيث، فورد مؤنثًا في قوله تعالى: ﴿قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام

٩٠]، وورد مذكرًا في موضعين، الأوّل: قوله تعالى: ﴿مَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ [يوسف ١٠٤]، والثَّاني: قوله عزَّ وجل: ﴿إِنْ هُوَ إِلا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ [التكوير ٢٧].

يكمن وجه التَّأنيث عند الكرمانيّ[١٢٥] في آية الأنعام في السِّياق اللُّغويّ الذي تقدّم من قوله تعالى: ﴿فَلاَ تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام ٦٨]، وقوله سبحانه: ﴿وَلَكِن ذِكْرَى لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأنعام ٦٩]، وبه قال ابن جماعة[١٢٦]، والأنصاريّ[١٢٧].

وقد علَّل ابن الزُّبير الغرناطيُّ[١٢٨] علَّة التَّذكير في آية التَّكوير بالسِّياق الأسلوبيّ المتقدِّم للآية، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [التكوير ١٩]، وقوله سبحانه: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ [التكوير ٢٤]، ثم جاء قوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ [التكوير ٢٧] مناسبًا لما تقدمه، ولو ورد بخلاف ذلك لِمَا صحَّ لمنافرة التَّناسب ومباعدة التَّلاؤم.

كذلك اعتمد ابن الزُّبير على السِّياق اللُّغويّ في توضيح سرِّ تأنيث آية الأنعام بما تقدمها من قوله عزَّ وجل: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلاء فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ [الأنعام ٨٩] فكانت المناسبة، ولم يتقدَّم ما يستدعي لفظ التَّذكير ويناسبه.

وربما – والله أعلم – ورود التَّذكير في آية يوسف، و ص، والتَّكوير على الأصل، فالتَّأنيث فرع له، يقول سيبويه: "وإنَّما كان المؤنث بهذه المنزلة، ولم يكن كالمذكر؛ لأنَّ الأشياء كلها أصلها التَّذكير ثم تختص بعد" ، وقال في موطن آخر: "وإنَّما يخرج التَّأنيث من التَّذكير".

ب- التَّذكير والتَّأنيث في الأسماء الموصولة والضَّمائر:

جاء الموصول والضمير مذكرًا الذي به في قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ [السجدة ٢٠]، وجاء الموصول والضمير مؤنثًا التي بها في قوله سبحانه: ﴿وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ [سبأ ٤٢].

وقد تنوَّعت المغايرة في السِّياقين بين التَّذكير والتَّأنيث ففي السَّجدة جاء الضَّمير مذكَّرًا راجعًا إلى العذاب، في حين جاء في سبأ مؤنَّثًا راجعًا إلى النَّار، وهذا مبنيٌّ على أنَّ العذاب مذكر، والنَّار مؤنَّثة[١٢٩].

ووجه اختصاص آية السَّجدة بعود الوصف مذكرًا الذي إلى العذاب، وهو مذكر وعود الوصف مؤنثًا التي إلى النَّار – كما في آية سبأ _ وهي مؤنثة؛ لأنَّ النَّار في آية السجدة ظاهرة، وهي موضوعة موضع المضمر؛ لما تقدمها، فالنَّار أَضمرت في ﴿أُعِيدُوا فِيهَا﴾ وأظهرت بعدُ ﴿وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ﴾ فجاءت مظهرة مكان مضمر، والمضمر لا يوصف، فلم توصف النار، وإنَّما وَصف ما أضيف إليها وهو العذاب، ولم تأت آية سبأ على غرار آية السَّجدة؛ لأنَّها في سياقها اللُّغويّ مظهرة، فجاء الوصف صريحًا للنَّار، يقول الخطيب الإسكافي: "إنَّ النَّار في قوله في سورة السجدة ظاهر في موضع المضمر؛ لتقدّم ذكره في قوله: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا﴾ فأضمرت ﴿أُعِيدُوا فِيهَا﴾، وأظهرت ﴿وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ﴾ أي عذابها، فوقعت مظهرة مكان المضمر، والتي في سورة سبأ لم تجيء هذا المجيء؛ لأنَّها في مكانها مظهرة، فلمَّا كان المضمر لا يُوصف: بَعُدَ عن الوصف ما حلَّ محله؛ لأنه سدَّ سدَّه، فوصف ما أضيف إليه، وهو العذاب فجاء ﴿عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ ألا ترى أنَّ أوَّله: ﴿وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾"، وتابعه الكرمانيُّ[١٣٠]، والأنصاريُّ[١٣١].

ويُرجع أبو حيَّان استعمال الضَّمير مذكَّرًا في آية السَّجدة "لأنَّهم هنا لم يكونوا متلبسين بالعذاب، بل ذلك أوَّل ما رأوا النَّار إذ جاء عقيب الحشر فوُصِفَت لهم النَّار بأنَّها هي التي كنتم تكذِّبون بها. وأمَّا الذي في السّجدة فهم ملابسو العذاب متردّدون فيه لقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا﴾ [السجدة ٢٠]، فوصف لهم العذاب الذي هم مباشروه، وهو العذاب المؤبَّد الذي أنكروه"[١٣٢].

وذهب الرَّازي[١٣٣] في علَّة التَّذكير والتَّأنيث: أنَّ المكذَّب به في سياق آية السَّجدة هو: العذاب، وفي آية سبأ: النَّار، وهم يكذبون بهما جميعًا ففي آية السجدة ما يدلُّ على أنَّهم كانوا في النَّار منذ أمد وليس ذلك أوَّل ما رأوها بدليل قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾، أي العذاب الأبدي، فهم أنكروا العذاب الأبديّ بقولهم: ﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ [البقرة ٨٠].

وأمَّا في آية سبأ فالحال فيها هو بداية رؤيتهم النَّار؛ وذلك لتقدم ذكر الحشر والسُّؤال في قوله: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلائِكَةِ أَهَؤُلاء إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ [سبأ ٤٠] فقيل لهم: ﴿ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾.

وتختلف نظرة ابن الزُّبير[١٣٤] عن الرازيّ في بيان مناسبة التَّذكير والتَّأنيث في السِّياقين فقد أشار إلى أنَّ الكفار يكذِّبون بالنَّار وبعذابها، وقد أضيف العذاب إلى النَّار في السورتين؛ وإنَّما ذكر الوصف في آية السَّجدة؛ لأنَّه جاء بعدها: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الأَكْبَرِ﴾ [سورة السجدة آية ٢١] حيث تكرر ذكر العذاب، وفُصِّل بنوعيه الأدنى والأعلى فرُعي مناسبة ذلك بورود الآية بعود الوصف على العذاب؛ ليجري ذلك علِّة مجرى واحدًا

وأمَّا آية سبأ فليس قبلها ولا بعدها شيء من ذلك فجاء الوصف بالتَّأنيث وأعيد الضَّمير كذلك، وجاءت السُّورتان بورود الوجهين الجائزين.

أمَّا ابن عاشور فيرى أنَّ التَّكذيب عُلِّق في آية سبأ بالنَّار، وأمَّا في آية السَّجدة فعُلِّق بالعذاب فجيء بالاسم الموصول المناسب لكل منهما؛ "لأنَّ القول المخبر عنه هنا هو قول الله تعالى وحكمه وقد أذن بهم إلى جهنم وشاهدوها، كما قال تعالى آنفًا: ﴿وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ﴾ [سورة سبأ ٣٣]، فإنَّ الذي يرى هو ما به العذاب، وأمَّا القول المحكي في سورة السَّجدة

فهو قول ملائكة العذاب بدليل قوله: ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾[١٣٥].

واتَّجه العكبري اتجاهًا مغايرًا لما مضى، حيث أجاز أن يكون قوله تعالى: ﴿الَّذِي كُنتُم بِهِ﴾ هو صفة العذاب في موضع نصب، ويجوز أن يكون صفة النَّار وذُكِّر على معنى الجحيم أو الحريق"[١٣٦].

والأولى: رؤية جمهور أهل العلم؛ لأنَّه تحليل على الظَّاهر من النُّصوص في سياقها، والحمل على الظَّاهر أولى من الحمل على غيره، وإن ورد في المخصص[٢١٢]، والخزانة[٢١٣]، بجواز تذكير النَّار فهو قليل على ما صَّرح به ابن سيده ومهما يكن من أمرٍ فعلى القول بجواز تذكير النَّار[٢١٤]، يمكن حمل الوصف الذي والضمير به في سياق آية السَّجدة على النَّار؛ لأنَّها تُذكَّر وتؤنَّث، وهنا جاءت بالتَّذكير، وأمَّا في آية سبأ فقد جاءت مؤنَّثة.

ج- التَّذكير والتأنيث في الأفعال:

يذكر النُّحاة أنَّ هناك مواطن ومواضع يجوز فيها ذكر تاء التَّأنيث وحذفها، من ذلك أن يكون الفاعل جمع تكسير، نحو قوله تعالى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ﴾ [سورة يوسف آية ٣٠]، وقوله: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا﴾ [الحجرات ١٤]، ومن ذلك – أيضًا – أن يفصل بين الفعل وفاعله بفاصل سواء كان الفاعل حقيقيًا نحو قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءكَ الْمُؤْمِنَاتُ﴾ [الممتحنة ١٢] أم مجازيًّا، نحو قوله تعالى: ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ [سورة هود آية ٦٧].

وعلى الرُّغم من جواز ذكر تاء التَّأنيث وحذفها إذا كان الفاعل جمع تكسير فإنَّنا نرى أنَّ الأسلوب القرآنيَّ لا يتعامل مع هذا الجواز تعاملاً عشوائيًّا وإنمَّا يراعي في ذلك السِّياق[١٣٧]. فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ [هود ٦٧]، وقوله سبحانه مخبرًا عن قوم شعيب – عليه السلام –: ﴿ وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ [سورة هود آية ٩٤].

الخاتمة

وبعد هذا التطواف السريع مع دلالة المبنى على المعنى فيَّ الآيات القرآنية المتماثلة يمكننا استنتاج الآتي :

١. إبراز صورة من صور الإعجاز البياني في القرآن الكريم .

٢.أبرزت السِّمات اللُّغويَّة التي يستعملها الخطابُ القرآنيُّ في ظاهرة الأبنية المتماثلة في سياقها.

٣.أوضحت مدى ارتباط ألفاظ القرآن بعضها ببعض، حتى كانت كالكلمة الواحدة متَّسقة المعاني منتظمة المبانيّ.

٤. أشارت الدِّراسة أنَّ أكثر لطائف القرآن مُودعة في مثل هذه الأبنية التي تُعد وحدة بناء يجعل السُّور أو السُّورة من القرآن بنية محكمة متناسبة المعاني والمباني والمطالع والمقاطع.

٥. أظهرت قيمة الصِّيغة في تركيبها؛ لأنَّها تُعدُّ أهم القرائن اللَّفظيَّة التي تعين على فهم الخطاب، ولأنَّها – كذلك قادرة على تفسير السِّياق الخطابيّ، وقادرة – أيضًا – على تحليل النقلة الأسلوبية.

٦. ألمحت الدَّراسة إلى أنَّ المغايرة في الأبنية المتماثلة، هو بحث في التَّنُّوع الأسلوبيِّ الخاضع للسِّياق بنوعيه؛ لأنَّ هذا التَّنُّوع هو إحدى الوسائل التي تساعد على التَّرابط النَّصِّي.

ثبت المصادر والمراجع

١. الإتقان في علوم القرآن، لجلال الدين السُّيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، ١٤١٨هـ.
٢. إرشاد العقل السَّليم إلى مزايا الكتاب الكريم تفسير أبي السُّعود لأبي السُّعود، دار الفكر.
٣. الأصول في النحو، لأبي بكر بن السَّراج، مكتبة الخانكي، القاهرة، د. ت.
٦. الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ، دراسة تحليلية للإفراد والجمع في القرآن الكريم، للدكتور محمد الأمين الخضري، مطبعة الحسين الإسلامية، القاهرة، ط ١، ١٤١٣هـ.
٧.الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، للدكتورة عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، دار المعارف، مصر، ١٩٦٩م.
٨.إعراب القرآن، لأبي جعفر النّحاس، تحقيق الدكتور زهير غازي زاهد، عالم الكتب، ومكتبة النهضة العربية، ط ٢، ١٤٠٥هـ.
٩.أنوار التنزيل وأسرار التأويل تفسير البيضاوي، لأبي سعيد عبد الله بن عمر البيضاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٨هـ.
١٠. البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسيّ، دار الفكر، بيروت، ١٤١٢هـ.
١١. بدائع الفوائد، لابن القيم، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٤هـ.
١٢. البرهان في علوم القرآن، لبدر الدين الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الكتبة العربية، صيدا– بيروت، ١٤٠٨هـ.
١٣. البرهان في متشابه القرآن، لمحمود بن حمزة الكرماني، تحقيق أحمد عز الدين عبد الله خلف الله، دار الوفاء، المنصورة– مصر، ط٢، ١٤١٨هـ.
١٤.بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق عبد العليم الطحاوي، ومحمد علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت، د. ت.

١٥.بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، للدكتور فاضل صالح السامرائي، دار عمار، عمَّان، ط ٣، ١٤٢٦هـ.
١٦.البيان في غريب إعراب القرآن، لأبي البركات بن الأنباري، تحقيق الدكتور طه عبد الحميد طه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٠هـ.
١٧.تأويل مشاكل القرآن، لعبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق السيد أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، ط ٢، ١٣٩٣هـ.
١٨.التبيان في إعراب القرآن، لأبي البقاء العكبري، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط ٢، ١٤٠٧هـ.
١٩.التحرير والتنوير، المختصر من "تحرير المعنى السَّديد، وتنوير العقل الجديد، من تفسير الكتاب المجيد" لمحمد بن طاهر بن عاشور، بيروت، د. ت.
٢٠.التسهيل لعلوم التنزيل، لأبي القاسم محمد بن أحمد بن جزي الكلبي، تحقيق محمد عبد المنعم اليونسي، وإبراهيم عطوة، دار الكتب الحديثة، القاهرة، د. ت.
٢١. التعبير القرآني، للدكتور فاضل السامرائي، دار عمار، عمّان، ط ٤، ١٤٢٧هـ.
٢٢. التفسير الكبير مفاتيح الغيب، لفخر الدين الرازي، دار الكتب العلمية، طهران – إيران –، ط ٢، د. ت.
٢٤.جامع البيان عن تأويل أي القرآن تفسير الطبري، لمحمد بن جرير الطبري، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، القاهرة، ط ١، ١٤٢٢هـ.
٢٥.الجامع لأحكام القرآن تفسير الطبري، لأبي عبد الله القرطبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٨هـ.
٢٦.الجُمل، للزجاجي، مطبعة كلنكسيك، ط ٢، ١٣٧٦هـ.

٢٧.الجنى الداني في حروف المعاني، للحسن بن قاسم المرادي، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة، المطبعة الصليبية، ١٣٩٣هـ.
٢٩. الحجة للقراء السبعة، لأبي علي الفارسي، حققه بدر الدين قهوجي، وأحمد يوسف الدقاق، دار المأمون للتراث، ط ١، ١٤٠٤هـ.
٣٠.خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، لعبد القادر عمر البغدادي، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانكي، القاهرة، ط ٣، ١٤٠٩هـ.
٣١.الخصائص، لأبي الفتح بن جني، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتاب الغربي، بيروت، د. ت.
٣٢.دراسات لأسلوب القرآن الكريم، لمحمد عبد الخالق عضيمة، دار الحديث، القاهرة، د.ت.
٣٣.الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي، تحقيق الدكتور أحمد الخراط، دار القلم، دمشق، ط ١، ١٤٠٦هـ.
٣٤. درة التنزيل وغرة التأويل، لمحمد بن عبد الله الخطيب الإسكافي، تحقيق الدكتور محمد مصطفى آيدين، مطابع جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط ١، ١٤٢٢هـ.
٣٥. دلائل الإعجاز، لعبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ط ٣، ١٤١٣هـ.
٣٩. الروض الريان في أسئلة القرآن، لشرف الدين الحسن بن سليمان بن ريَّان، تحقيق عبد الحليم السلفي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط ١، ١٤١٥هـ.
٤٠.روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، والسبع المثاني، لمحمود الألوسي، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٣هـ.
٤١.زاد المسير في علم التفسير، لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٤، ١٤٠٧هـ.

٤٢.سر الإعجاز في تنوع الصيغ المشتقة من أصل لغوي واحد في القرآن، للدكتور عودة الله منيع القيسي، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤١٦هـ.

٤٥.شرح مفصل الزمخشري، لموفق الدين بن يعيش، عالم الكتب، بيروت، ١٤١٨هـ.

٤٦.غرائب التفسير وعجائب التأويل، لمحمود بن حمزة الكرماني، تحقيق الدكتور شمران سركال يونس العجلي، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، ط ١، ١٤٠٨هـ.

٤٧. غرائب القرآن ورغائب الفرقان، لنظام الدين الحسن بن محمد القمي النيسابوري، تحقيق إبراهيم عطوة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، بمصر، ط !، ١٣٨١هـ.

٤٨. فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، لشيخ الإسلامي أبي يحيى زكريا الأنصاري، تحقيق محمد علي الصابوني، عالم الكتب، بيروت، ط ١، ١٤٠٥هـ.

٤٩. الكتاب، لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق عبد السلام هارون، دارا الجيل، بيروت، ط ١، ١٤١١هـ.

٥٠. كتاب الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، كملي بن أبي طالب القيسي، تحقيق الدكتور محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٥، ١٤١٨هـ.

٥١. كشف المعاني في المتشابه والمثاني، لمحمد بن إبراهيم بن جماعة، تحقيق مرزوق علي إبراهيم، دار الشريف، الرياض، ط ١ ١٤٢٠هـ.

٥٢. لسان العرب، لابن منظور، اعتنى به أمين محمد عبد الوهاب، ومحمد الصادق المهدي، دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط ١، ١٤١٦هـ.

٥٣. مجاز القرآن، لأبي عبيدة معمر بن المثنى، تحقيق الدكتور محمود فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة، د. ت.

٥٤.المحتسب في بيتين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، لأبي الفتح بن جني، تحقيق علي النجدي ناصف، والدكتور عبد الحليم النجار، والدكتور عبد الفاتح إسماعيل شلبي، دار سزكين للطباعة والنشر، ط ٢، ١٤٠٦هـ.

٥٥.المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن غالب ابن عطية الأندلس، تحقيق المجلس العلمي، فاس، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

٥٦. المخصص، لأبي الحسن بن سيده، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

٥٧. مدارك التنزيل وحقائق التأويل تفسير النفي لعبد الله بن أحمد النسفي، المكتبة الأموية، دمشق، مكتبة الغزالي، حماة.

٥٨. مشكل إعراب القرآن، لمكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق الدكتور حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٤، ١٤٠٨هـ.

٦١. معاني القرآن وإعرابه، لأبي إسحاق إبراهيم الزجاج، تحقيق الدكتور عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط ١، ١٤٠٨هـ.

٦٢. معترك الأقران في إعجاز القرآن، لجلال الدين السيوطي، ضبطه وصححه أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٨هـ.

٦٣. مغني اللبيب عن كتاب الأعاريب، لابن هشام الأنصاري، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٤٠٧هـ.

٦٤. معاني النحو، للدكتور فاضل صالح السامرائي، دار الحكمة للطباعة والنشر، بغداد، ١٩٩١م.

٦٥. مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، تحقيق صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط ٣، ١٤٢٣هـ.

٦٦. المقتضب،

٦٧.ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه من أي التنزيل، تحقيق الدكتور محمود كامل أحمد، دار النهضة العربية، بيروت، ١٤٠٥هـ.

٦٨.نتائج الفكر في النحو، لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، وعلي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٢هـ.

٦٩. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لبرهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي، إشراف محمد عبد المعين خان، دار المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، ط ١، ١٣٨٩هـ.

٧٠. نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، لفخر الدين الرازي، تحقيق الدكتور إبراهيم السامرائي، ومحمود بركات، دار الفكر، عمان، ١٩٨٥م.

الهوامش:

١- درة التَّنزيل ص ٢٥٠.
٢ – الكتاب ج ٢ ص ٢٣٩، وينظر : شرح الرَّضي على الشَّافية ج ١ ص ١٠٨.
٣ – ينظر ص ١٩ من هذا البحث.
٤ – مادة ش ب هـ .
٥- ص ٣٠٤.
٦ – بلاغة الكلمة ص ٩٢.
٧ – البرهان في متشابه القرآن ص ١١٢.
٨ – بصائر ذوي التَّمييز ج ١ ص ١٤٤.
٩ – ملاك التَّأويل ج ١ ص ٧٣.
١٠ – السَّابق: ج١ ص٩٨، ج٢٧، ص١٩٢. وينظر: روح المعاني: ج١ ص١٩٨.
١١ – روح المعاني ج ٩ ص ٢٣
١٢ – التَّحرير والتَّنوير ج ١٩ ص ١٢٤.
١٣ – ينظر: الحجة لأبي علي الفارسي ج ٤ ص ٦٤، و مفاتيح الغيب ج ١٤ ص ٢٠٠.
١٤ – مفاتيح الغيب: ج٣ ص٩٢.
١٥ – غرائب القرآن: ج١ ص٣٢٤.
١٦ – البحر المحيط: ج١ ص٣٦٤
١٧ – كشف المعاني، ص١٠٢.
١٨ – نظم الدُّرر: ج٨ ص١٣٥.
١٩ – السَّابق: ج٩ ص٨٨.
٢٠ – قرأها بالبناء للمفعول: اليمانيّ ويزيد البربريّ، ينظر: المحتسب: ج١ ص٦٦.
٢١ – درة التَّنزيل، ص٧١٩، وينظر: البرهان في علوم القرآن: ج٣ ص١٤٥.
٢٢ – البرهان في متشابه القرآن، ص١٩٠.
٢٣ – ملاك التَّأويل: ج١ ص٤٧٠.
٢٤ – كشف المعاني، ص٢٠٣.
٢٥ – فتح الرَّحمن، ص١٧١.
٢٦ – التَّحرير والتَّنوير: ج١١ ص٦.
٢٧ – ينظر: بلاغة الكلمة في التَّعبير القرآني، ص٨٤.

٢٨ الكتاب: ج١ ص١٥، وينظر: الأسس النَّفسيَّة لأساليب البلاغة العربيَّة، ص١١٧.
٢٩ – درة التَّنزيل، ص١٣١٦.
٣٠ – جامع البيان: ج١٦ ص٢٢.
٣١ – البحر المحيط: ج٦ ص١٦٥.
٣٢ – ينظر: البرهان في توجيه متشابه القرآن، ص١٧١، وروح المعاني: ج١٦ ص٤١.
٣٣ – ملاك التَّأويل: ج٢ ص٧٩٠
٣٤ – اللِّسان مادة ت ب ع.
٣٥ – الكتاب: ج٤ ص٧٤. وقد يكون لـافتعل معنى غير فعل، وذلك مثل: شوى بمعنى أنضج، واشتوى: اتِّخذ شواء، ينظر: الكتاب: ج٤ ص٧٣، وشرح الشَّافية، ج١ ص١٠٨.
٣٦ – المفردات، ص٧٢.
٣٧ – اللِّسان مادة ت ب ع.
٣٨ – البرهان، ج١ ص١١٥، وينظر: غرائب القرآن: ج١ ص٢٨٨، وبصائر ذوي التَّمييز: ج١ ص١٤٤.
٣٩– ملاك التَّأويل: ج١ ص١٩٠.
٤٠ – نظم الدُّرر: ج١ ص٢٩٨، ج٢ ص٣٦١.
٤١ – كشف المعاني، ص٩٣.
٤٢ – ينظر: التَّعبير القرآنيُّ، ص٢٨٧
٤٣ – زاد المسير، ج١ ص٣٤٦.
٤٤ – زاد المسير، ج١ ص٣٤٦.
٤٥ البحر المحيط: ج٢ ص٧٦١.
٤٦ – التَّحرير والتَّنوير: ج٣ ص١٣٧.
٤٧ – البرهان في متشابه القرآن، ص٣٢٣.
٤٨ – البيت في ديوانه: ج١ ص٩٩.
٤٩ – البيت في ديوانه، ص٥٥.
٥٠ – البحر المحيط: ج٢، ص٣٨١.
٥١ – الكشَّاف: ج١ ص١٧٢.
٥٢ – المحرَّر الوجيز: ج٢ ص٣٩١.
٥٣ – الدُّر المصون: ج٢ ص٦٩٩.

٥٤ – التَّسهيل في علوم التَّنزيل: ج١ ص١٧٥.
٥٥ – روح المعاني: ج٣ ص٦٩.
٥٦ – الكتاب: ج٤ ص٧٤.
٥٧ – الخصائص: ج٣ ص١٠١، وينظر: اللِّسان ك س ب.
٥٨ – شرح الشَّافية: ج١ ص١١٢.
٥٩ – البحر المحيط: ج١ ص١٠٠.
٦٠ – مفاتيح الغيب: ج٢٩ ص٢٠٦.
٦١ – فتح القدير: ج٥ ص٢٠٤.
٦٢ – أنوار التَّنزيل: ج٢ ص٤٦٦.
٦٣ – إرشاد العقل السَّليم: ج٥ ص٦٨١.
٦٤ – روح المعاني: ج٢٧ ص١٦٥.
٦٥ – نظم الدُّرر: ج٢ ص٤٥.
٦٦ – البرهان في متشابه القرآن، ص٣٠٨، وينظر: فتح الرَّحمن، ص٤١٢.
٦٧ – درة التنزيل، ص٥٤٠.
٦٨ – ملاك التَّأويل: ج١ ص٣٤٥.
٦٩ – درة التَّنزيل، ص٥٨٨.
٧٠ – ملاك التَّأويل: ج١ ص٣٧٣.
٧١ – كشف المعاني، ص١٨٢.
٧٢ – البرهان في متشابه القرآن، ص١٦٨.
٧٣ – كشف المعاني، ص١٨٢.
٧٤ – البحر المحيط: ج٩ص١٦.
٧٥ – نهاية الإيجاز، ص٧٥.
٧٦ – مفتاح العلوم، ص٢١٠.
٧٧ – درة التَّنزيل، ص١٣٥٣.
٧٨ – البرهان في متشابه القرآن، ص٣٢٣.
٧٩ – فتح الرَّحمن، ص٤٥٤.
٨٠ – ملاك التأويل: ج٢ ص٩٤٨.
٨١ – روح المعاني: ج٣٠ ص١١٩.

٨٢ – الكتاب: ج٢ ص٣٠٨.
٨٣ – المقتضب، ٢ ٣١٩.
٨٤ – لأصول في النحو، ج١ ص٥٠٣.
٨٥ – معاني الحروف، ص٩٦.
٨٦ – الواضح، ص٣٠١.
٨٧ – الجُمل، ص٢٥
٨٨ – اللُّباب في علل البناء والإعراب: ج٢ ص٢٩٣.
٨٩ – المفصل شرحه: ج٨ ص٢٠.
٩٠ – كشف المشكل في النحو، ص٢٣٢.
٩١ – المقرب: ج١ ص٢٠١.
٩٢ – شرح الكافية: ج٢ ص٣٢٤.
٩٣ – الجنى الداني، ص٢٥٠.
٩٤ – جواهر الأدب، ص١٣٠
٩٥ – المغني: ج١ ص١٦٨.
٩٦ – درة التَّنزيل، ص٥٢٦.
٩٧ – البرهان في متشابه القرآن، ص١٥٦.
٩٨ – فتح الرَّحمن، ص١٢٥
٩٩ – ملاك التَّأويل: ج٢ ص١٥١.
١٠٠ – البحر المحيط، ج٤ ص٥٩١.
١٠١ – الرَّوض الريان، ص٥٠.
١٠٢ – فوائد في مشكل القرآن، ص١٢١.
١٠٣ – الدُّر المصون: ج٥ ص٥٧.
١٠٤ – البيت للنَّابغة في ديوانه، ص٧١.
١٠٥ – مفاتيح الغيب: ج١٣ ص٩٣.
١٠٦ – التَّحرير والتَّنوير: ج٧ ص٣٨٩.
١٠٧ – كشف المعاني، ص١٨٤.
١٠٨ – مفاتيح الغيب: ج١٤ ص١٥٦.
١٠٩ – ملاك التَّأويل: ج١ ص٤٠١.

١١٠ – ملاك التَّأويل: ج١ ص٤٠٢.

١١١ – ينظر: نظم الدُّرر: ج٧ ص٤٣٠.

١١٢ – البرهان في متشابه القرآن، ص١٧١.

١١٣ – مدارك التَّنزيل: ج٢ ص١٢٠.

١١٤ – البحر المحيط: ج٥ ص٨٧.

١١٥ – ينظر: التَّحرير والتَّنوير: ج٨ ص١٩٤.

١١٦ – ينظر: كشف المعاني، ص١٧٩.

١١٧ – ينظر: مفاتيح الغيب: ج١٤ ص١٥٦

١١٨ – ينظر: كشف المعاني، ص١٧٩.

١١٩ – شرح المفصل: ج٥ ص٨٧.

١٢٠ – دلائل الإعجاز، ص٢٨٨.

١٢١ – البرهان في متشابه القرآن ص ٣٠.

١٢٢ – نظم الدرر: ج٢ ص٤٧.

١٢٣ – البحر المحيط: ج١ ص٢٤٩.

١٢٤ – نظم الدُّرر، ج١ ص٧٠.

١٢٥ – البرهان في متشابه القرآن، ص١٥٥

١٢٦ – كشف المعاني، ص١٦٩.

١٢٧ – فتح الرَّحمن، ص١٢٤.

١٢٨ – ملاك التأويل: ج١ ص٣٣٠

١٢٩ – ينظر: المذكَّر والمؤنَّث للفرَّاء، ص٧٥، والمذكر والمؤنَّث لأبي حاتم، ص١٠٢، والمذكر والمؤنث لابن الأنباريّ، ص٥٥١.

١٣٠ – البرهان في متشابه القرآن، ص٢٧٤.

١٣١ – فتح الرَّحمن، ص٢٣٦.

١٣٢ – البحر المحيط: ج٧ ص٢٧٤.

١٣٣ – مفاتيح الغيب: ج٢٥ ص٢٦٦.

١٣٤ – ملاك التأويل، ج٢ ص٧٩٢.

١٣٥ – التَّحرير والتَّنوير: ج٢٢ ص٢٢٤

١٣٦ – التَّبيان في إعراب القرآن: ج٢ ص١٠٥٠.

١٣٧ – ينظر: بدائع الفوائد: ج١ ص١٢٥، ومعاني النحو: ج٢ ص٤٨٢.